شهادة الزمان والمكان والجوارح على الخلق

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

ابن عثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

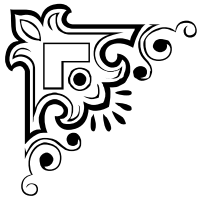

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

فَالرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَالْيَوْمُ الْآخِرُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَوْمُ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

سُمِّيَ الْيَوْمَ الْآخِرَ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بَعْدَ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَيُسَمَّىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِقِيَامِ النَّاسِ فِيهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَهُ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّ اسْمٍ يَدُلُّ عَلَىٰ حَدَثٍ فِيهِ، أَوْ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ فِيهِ، وَكُلُّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ عَظَمَةِ شَأْنِهِ، وَخُطُورَةِ إِنْكَارِهِ وَالْكُفْرِ بِهِ، وَفِيهَا تَذْكِيرٌ بِأَهْوَالِهِ، وَتَنْبِيهٌ عَلَىٰ الِاسْتِعْدَادِ لَهُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَغَالِبًا يُذْكَرُ الْخَامِسَ مِنْهَا.

وَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ عَلَىٰ فَلَاحِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ لَهُ، مُخْلِصًا للهِ -تَعَالَىٰ- بِمَا شَرَعَ، وَعَلَىٰ كُفْرِ مَنْ أَنْكَرَهُ وَجَحَدَهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] الْآيَةَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ التَّصْدِيقُ بِمَجِيئِهِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْحِكْمَةِ مِنْهُ عَلَىٰ النَّحْوِ الْوَارِدِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَيَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أُمُورًا لَا يَتَحَقَّقُ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِالتَّصْدِيقِ بِهَا وَاعْتِقَادِهَا، وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا؛ وَهِيَ: كَيْفِيَّةُ مَجِيءِ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، وَكَيْفِيَّةُ قَبْضِ رُوحِهِ، وَأَيْنَ يُذْهَبُ بِرُوحِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَالسُّؤَالُ فِي الْقَبْرِ، أَوِ الْإِيمَانُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَمَا جَاءَ فِي صِفَةِ ذَلِكَ، وَالنَّتِيجَةِ الَّتِي تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ عَلَيْهَا مُسْتَقْبَلُ الْمَيِّتِ.

وَكَذَلِكَ حَالُ الْمَيِّتِ فِي الْقَبْرِ، وَمُدَّةُ مُكْثِهِ فِيهِ، وَعَلَاقَةُ رُوحِهِ بِجَسَدِهِ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ مِنْ نَعِيمِ الْمُثَبَّتِينَ وَعَذَابِ الْمُضَلِّينَ.

وَالْإِيمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَعَلَامَاتِهَا الْكُبْرَىٰ وَالصُّغْرَىٰ.

وَالْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ؛ وَهُوَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَىٰ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ، فَتُعَادُ الْأَبْدَانُ وَتُنْفَخُ فِيهَا أَرْوَاحُهَا، وَتَنْشَقُّ عَنْهَا الْقُبُورُ، وَيَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالْإِيمَانُ بِالْحَشْرِ؛ وَهُوَ جَمْعُ النَّاسِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ، وَالْإِيمَانُ بِصِفَتِهِ وَحَالِ النَّاسِ فِيهِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْحِسَابِ؛ وَهُوَ الْعَرْضُ عَلَىٰ رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَتَقْرِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُنَاقَشَةُ الْكَافِرِينَ؛ كُلٌّ بِعَمَلِهِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ وَصُحُفِ الْأَعْمَالِ، وَكَيْفِيَّةِ أَخْذِ النَّاسِ لَهَا.

وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ وَصِفَتِهِ وَنَتِيجَةِ الْوَزْنِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ وَصِفَتِهِ، وَصِفَةِ الْوُرُودِ عَلَيْهِ، وَمَنْ يُطْرَدُ عَلَيْهِ عَنْهُ.

وَالْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ وَصِفَتِهِ، وَحَالِ مُرُورِ النَّاسِ عَلَيْهِ.

وَالْإِيمَانُ بِالشَّفَاعَةِ وَبِأَنْوَاعِهَا.

وَالْإِيمَانُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَمَا جَاءَ مِنْ صِفَتِهِمَا، وَحَالِ أَهْلِهِمَا فِيهِمَا، وَأَنَّهُمَا الْمَآلُ الْأَبَدِيُّ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَصْلٌ مِنَ الْأُصُولِ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهِ، ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].(*).

حُكْمُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: فَرِيضَةٌ.. وَاجِبٌ؛ وَاجِبٌ عَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يُؤْمِنَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَمَرْتَبَتُهُ فِي الدِّينِ: أَنَّهُ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ.

وَكَثِيرًا مَا يَقْرِنُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بَيْنَ الْإِيمَانِ بِهِ -تَعَالَىٰ- وَالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، الْإِيمَانُ بِالْمَبْدَأِ، وَالْإِيمَانُ بِالْمَعَادِ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللهِ؛ إِذْ إِنَّ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَنْ يَعْمَلَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْمَلُ إِلَّا لِمَا يَرْجُوهُ مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا يَخَافُهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ، فَإِذَا كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِهِ صَارَ كَمَنْ حَكَىٰ اللهُ عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ: كَيْفِيَّةُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ نَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ) - الْخَمِيسُ ٢٩ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٤١هـ| ٢٦-١٢-٢٠١٩م.

وَسُمِّيَ الْيَوْمُ الآخِرُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ لِأَنَّهُ يَوْمٌ لَا يَوْمَ بَعْدَهُ، فَهُوَ آخِرُ الْمَرَاحِلِ.

وَالْإِنْسَانُ لَهُ خَمْسُ مَرَاحِلَ: مَرْحَلَةُ الْعَدَمِ، ثُمَّ مَرْحَلَةُ الْحَمْلِ، ثُمَّ الدُّنْيَا، ثُمَّ الْبَرْزَخُ، ثُمَّ الْآخِرَةُ.

* **فَأَمَّا مَرْحَلَةُ الْعَدَمِ؛ فَقَدْ دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ**: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: ٥].

وَأَمَّا مَرْحَلَةُ الْحَمْلِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ﴾ [الزمر: ٦].

وَأَمَّا مَرْحَلَةُ الدُّنْيَا؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

وَهَذِهِ الْمَرَاحِلُ هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ، وَهِيَ دَارُ الِامْتِحَانِ وَالِابْتِلَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢].

وَأَمَّا مَرْحَلَةُ الْبَرْزَخِ؛ فَقَدْ قَالَ فِيهَا تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وَأَمَّا مَرْحَلَةُ الْآخِرَةِ؛ فَهِيَ غَايَةُ الْمَرَاحِلِ وَنِهَايَةُ الرَّاحِلِ، قَالَ -تَعَالَىٰ- بَعْدَ ذِكْرِ الْمَرَاحِلِ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

[المؤمنون: ١٥-١٦].

الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ دَخَلَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ؛ وَلِهَذَا يُقَالُ: مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ(١)؛ فَكُلُّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ مِنَ الْيَوْمِ الْآخِرِ.

إِذَنْ؛ مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ الْآخِرَ لَنَا، لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ، ثُمَّ يَدْخُلَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْجَزَاءُ عَلَىٰ الْعَمَلِ.

فَيَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَنَبَّهَ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ!

فَكِّرْ -أَيُّهَا الْإِنْسَانُ- تَجِدْ أَنَّكَ عَلَىٰ خَطَرٍ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ لَهُ أَجَلٌ مَعْلُومٌ عِنْدَنَا، قَدْ يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْتِهِ وَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ كُرْسِيِّ مَكْتَبِهِ ثُمَّ لَا يَقُومُ عَنْهُ، وَقَدْ يَنَامُ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ وَلَكِنَّهُ يُحْمَلُ مِنْ فِرَاشِهِ إِلَىٰ سَرِيرِ غُسْلِهِ.

---

(١) ورد حديث بهذا اللفظ، لكنه لا يصح كما بينه العلامة الألباني في «الضعيفة» (٣/ ٣٠٩، رقم ١١٦٦)، غير أن معناه يشهد له أحاديث أخرىٰ، منها: ما أخرجه أحمد (١/ ٥٠٣، رقم ٤٥٤) عن عثمان مرفوعا: «**الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ**».

وَهَذَا أَمْرٌ يَسْتَوْجِبُ مِنَّا أَنْ نَنْتَهِزَ فُرْصَةَ الْعُمُرِ فِي التَّوْبَةِ وَفِي الْأَوْبَةِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، وَأَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ دَائِمًا مُسْتَشْعِرًا بِأَنَّهُ تَائِبٌ إِلَىٰ اللهِ وَأَنَّهُ رَاجِعٌ وَمُنِيبٌ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ الْأَجَلُ وَهُوَ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يُرَامُ وَهُوَ عَلَىٰ خَيْرِ حَالٍ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» (الْمُحَاضَرَة ٥٠)، السَّبْتُ ٢٢ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٨هـ| ٣-١١-٢٠٠٧م.

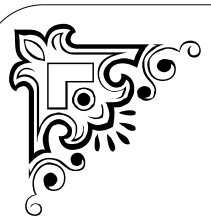

الْحِكْمَةُ مِنَ الْيَوْمِ الْآخِرِ

عِبَادَ اللهِ! لِمَجِيءِ الْيَوْمِ الْآخِرِ حِكَمٌ تَضَمَّنَتِ الْإِشَارَةَ إِلَيْهَا بَعْضُ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل: ٣٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٤-٦].

فَهَذِهِ الْحِكَمُ وَرَدَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

وَيُمْكِنُ إِجْمَالُ تِلْكَ الْحِكَمِ فِيمَا يَلِي:

* إِثْبَاتُ صِدْقِ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَنَطَقَتْ بِهِ الْكُتُبُ مِنْ أَمْرِهِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ.

* وَبَيَانُ تَصْدِيقِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَعَمِلُوا لَهُ، وَدَعَوْا إِلَيْهِ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ.

* وَظُهُورُ كَذِبِ الْكُفَّارِ فِيمَا أَنْكَرُوهُ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ، وَخَسَارَتُهُمْ فِيهِ.

* وَالْحُكْمُ بَيْنَ الْخَلْقِ بِالْحَقِّ.

* وَأَدَاءُ الْحُقُوقِ إِلَىٰ أَهْلِهَا.

* وَجَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ بِالْإِحْسَانِ، وَالْمُسِيئِينَ بِمَا عَمِلُوا.

فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ -تَعَالَىٰ- أَنْ يَجْعَلَ لِلْخَلْقِ مَعَادًا يُبْعَثُونَ فِيهِ، ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ؛ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ كُتُبِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ: كَيْفِيَّةُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ نَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ) - الْخَمِيسُ ٢٩ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٤١هـ| ٢٦-١٢-٢٠١٩م.

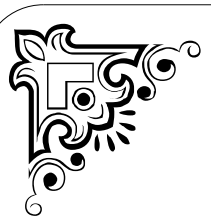

الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عِبَادَ اللهِ! مِمَّا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمُحَاسَبَةُ؛ وَهِيَ: إِطْلَاعُ الْعِبَادِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يُحَاسِبُ اللهُ الْخَلَائِقَ، وَالْخَلَائِقُ: جَمْعُ خَلِيقَةٍ، فَيَشْمَلُ كُلَّ مَخْلُوقٍ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُسْتَثْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ مَنْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ أُمَّتَهُ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَهُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»(١).

يُحَاسِبُ اللهُ الْخَلَائِقَ؛ الْخَلَائِقُ: يَشْمَلُ الْجِنَّ؛ لِأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ؛ وَلِهَذَا يَدْخُلُ كَافِرُهُمُ النَّارَ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ**﴾ [الأعراف: ٣٨].

وَيَدْخُلُ مُؤْمِنُهُمُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ قَوْلِ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦﴾ [الرحمن: ٤٦-٥٦].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠)؛ عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

إِذَنِ؛ الْجِنُّ مُكَلَّفُونَ، يَدْخُلُ طَائِعُهُمُ الْجَنَّةَ وَيَدْخُلُ عَاصِيهِمُ النَّارَ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وَهَلْ تَشْمَلُ الْمُحَاسَبَةُ يوم القيامة الْبَهَائِمَ؟!!

أَمَّا الْقَصَاصُ فَيَشْمَلُ الْبَهَائِمَ؛ لِأَنَّهُ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ كَمَا فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ**»(١)، وَهَذَا قَصَاصٌ؛ لَكِنَّهَا لَا تُحَاسَبُ حِسَابَ تَكْلِيفٍ وَإِلْزَامٍ؛ لِأَنَّ الْبَهَائِمَ لَيْسَ لَهَا ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ.

وَصِفَةُ حِسَابِ الْمُؤْمِنِ: يَخْلُو بِهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، أَيْ: يَقُولُ لَهُ: عَمِلْتَ كَذَا، وَعَمِلْتَ كَذَا... حَتَّىٰ يُقِرَّ وَيَعْتَرِفَ، ثُمَّ يَقُولُ: «**سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَىٰ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨]».

فَالْمُؤْمِنُ يَضَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ سِتْرَهُ؛ بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، وَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ ﷻ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا قَرَّرَكَ بِجِنَايَاتِكَ أَمَامَ النَّاسِ -وَإِنْ صَفَحَ عَنْكَ- فَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْفَضِيحَةِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ وَحْدَكَ فَإِنَّ ذَلِكَ سَتْرٌ مِنْهُ عَلَيْكَ.(*).

الْحِسَابُ لُغَةً: هُوَ الْعَدُّ وَالْإِحْصَاءُ، حَسَبَ الْمَالَ: أَيْ عَدَّهُ وَأَحْصَاهُ.

وَالْحِسَابُ شَرْعًا: هُوَ إِطْلَاعُ اللهِ الْعِبَادَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْبَاؤُهُمْ بِمَا قَدَّمُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.(*/٢).

الْمُرَادُ بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ: أَنْ يُوقِفَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِبَادَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيُعَرِّفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا، وَأَقْوَالِهِمُ الَّتِي قَالُوهَا، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا مِنْ إِيمَانٍ وَكُفْرٍ، وَاسْتِقَامَةٍ وَانْحِرَافٍ، وَطَاعَةٍ وَعِصْيَانٍ، وَمَا يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَىٰ مَا قَدَّمُوهُ مِنْ إِثَابَةٍ وعُقُوبَةٍ، وَإِيتَاءُ الْعِبَادِ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ إِنْ كَانُوا صَالِحِينَ، وَبِشِمَالِهِمْ إِنْ كَانُوا طَالِحِينَ.

وَيَشْمَلُ الْحِسَابُ مَا يَقُولُهُ اللهُ لِعِبَادِهِ وَمَا يَقُولُونَهُ لَهُ، وَمَا يُقِيمُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ حُجَجٍ وَبَرَاهِينَ.

وَيَشْمَلُ شَهَادَةَ الشُّهُودِ، وَوَزْنَ الْأَعْمَالِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» (الْمُحَاضَرَة: ٥٣)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٦ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٨هـ| ٧-١١-٢٠٠٧م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا مَعْنَىٰ الْحِسَابِ؟ وَمَا دَلِيلُهُ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

وَالْحِسَابُ مِنْهُ الْعَسِيرُ وَمِنْهُ الْيَسِيرُ، وَمِنْهُ التَّكْرِيمُ وَمِنْهُ التَّوْبِيخُ وَالتَّبْكِيتُ.

وَمِنْهُ الْفَضْلُ وَالصَّفْحُ، وَمُتَوَلِّي ذَلِكَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.(*).

وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ ثُبُوتِهِ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالْإِجْمَاعُ، وَالْعَقْلُ.

وَالْإِيمَانُ بِهِ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِ، فَلَا تَصِحُّ عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ وَلَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِالْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ أَوْ شَكَّ فِي وُقُوعِهِ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ، وَلَا حَظَّ لَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ؛ لِتَكْذِيبِهِ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَالنُّصُوصَ الَّتِي نَصَّتْ عَلَىٰ وُقُوعِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَمِنْ أَدِلَّةِ ثُبُوتِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٨-١٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧﴾ [غافر: ١٧].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الْمُرَادُ بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وَغَيْرُ ذَلِكَ.. الْكَثِيرُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَنُصُّ عَلَىٰ وُقُوعِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ الْمُشَرَّفَةُ فَفِيهَا أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ؛ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

أَيْ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تَزُولُ قَدَمَاهُ عَنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ هَذِهِ الْخَمْسِ.

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٥٤) وغيرهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦٢٩، رقم ٩٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦).

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ؛ فَقَدْ نَصَّ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ بَطَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وَنَحْنُ الْآنَ ذَاكِرُونَ شَرْحَ السُّنَّةِ».

ثُمَّ قَالَ: «مِمَّا أَجْمَعَ عَلَىٰ شَرْحِنَا لَهُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، وَسَائِرُ الْأُمَّةِ».

فَذَكَرَ جُمْلَةً مِنْ مُعْتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ، ثُمَّ قَالَ: «ثُمَّ الْإِيمَانُ بِالْمُسَاءَلَةِ: أَنَّ اللهَ يَسْأَلُ الْعِبَادَ عَنْ كُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ فِي الْمَوْقِفِ، وَعَنْ كُلِّ مَا اجْتَرَمُوا، وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ».

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **وَهُوَ يَذْكُرُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**(٢): «وَنُؤْمِنُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّ اللهَ يُوقِفُ الْعِبَادَ فِي الْمَوْقِفِ، وَيُحَاسِبُ الْمُؤْمِنِينَ».

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «الْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَالْبَعْثُ وَالْحِسَابُ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأُصُولَ كُلَّهَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ».

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَالْعَقْلُ يَدُلُّ دَلَالَةً قَطْعِيَّةً عَلَىٰ وُقُوعِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْعَبَثِ أَنْ يُكَلَّفَ الْإِنْسَانُ بِفِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ، ثُمَّ يُتْرَكَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا جَزَاءٍ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا مُنَزَّهٌ عَنِ الْعَبَثِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ **أَثْنَاءَ ذِكْرِهِ لِأَدِلَّةِ ثُبُوتِ الْحِسَابِ؛ حَيْثُ ذَكَرَ أَنَّ مِنْ أَدِلَّةِ ثُبُوتِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَقْلَ، قَالَ**(٤): «لِأَنَّنَا لَوْ كُلِّفْنَا بِعَمَلٍ فِعْلًا

---

(١) «الإبانة الصغرىٰ» لابن بطة (ص: ١٢١).

(٢) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص: ٢٧).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٤٨٦).

(٤) «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ١٥٢).

وَتَرْكًا وَتَصْدِيقًا؛ فَالْعَقْلُ وَالْحِكْمَةُ يَقْضِيَانِ أَنَّ مَنْ كُلِّفَ بِعَمَلٍ فَإِنَّهُ يُحَاسَبُ عَلَيْهِ وَيُنَاقَشُ فِيهِ». (*).

وَأَمَّا مَشْهَدُ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَقَدْ حَدَّثَنَا رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا عَنْ مَشْهَدِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ، فَقَالَ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩].

وَحَسْبُنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الْقَاضِيَ وَالْمُحَاسِبَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ هُوَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ قَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ لِيَتَبَيَّنَ لَنَا عِظَمُ هَذَا الْمَشْهَدِ وَجَلَالُهُ وَمَهَابَتُهُ.

وَلَعَلَّ هَذَا الْإِشْرَاقَ الْمَنْصُوصَ عَلَيْهِ فِي الْآيَةِ ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ مَجِيءِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠].

وَهُوَ مَجِيءٌ اللهُ أَعْلَمُ بِكَيْفِيَّتِهِ، نُؤْمِنُ بِهِ، وَنَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ، وَلَا نُؤَوِّلُهُ، وَلَا نُحَرِّفُهُ، وَلَا نُكَذِّبُ بِهِ.

وَالْآيَةُ تَنُصُّ عَلَىٰ مَجِيءِ الْمَلَائِكَةِ؛ فَهُوَ مَوْقِفٌ جَلِيلٌ تَحْضُرُهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ بِكُتُبِ الْأَعْمَالِ الَّتِي أَحْصَتْ عَلَىٰ الْخَلْقِ أَعْمَالَهُمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا مَعْنَىٰ الْحِسَابِ؟ وَمَا دَلِيلُهُ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

وَأَقْوَالَهُمْ؛ لِيَكُونَ حُجَّةً عَلَىٰ الْعِبَادِ.

وَهُوَ كِتَابٌ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩].

وَيُجَاءُ فِي مَوْقِفِ الْقَضَاءِ وَالْحِسَابِ بِالرُّسُلِ، وَيُسْأَلُونَ عَنِ الْأَمَانَةِ الَّتِي حَمَّلَهُمُ اللهُ إِيَّاهَا، وَهِيَ إِبْلَاغُ وَحْيِ اللهِ إِلَىٰ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ، وَيَشْهَدُونَ عَلَىٰ أَقْوَامِهِمْ مَا عَلِمُوهُ مِنْهُمْ.

وَيَقُومُ الْأَشْهَادُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، فَيَشْهَدُونَ عَلَىٰ الْخَلَائِقِ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ.

وَالْأَشْهَادُ هُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانُوا يُسَجِّلُونَ عَلَىٰ الْمَرْءِ أَعْمَالَهُ، وَيَشْهَدُ -أَيْضًا- الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ، كَمَا تَشْهَدُ عَلَىٰ الْعِبَادِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ؛ بَلْ يَشْهَدُ عَلَىٰ الْعَبْدِ أَعْضَاؤُهُ.

وَيُؤْتَىٰ بِالْعِبَادِ لِمُحَاسَبَتِهِمْ، وَيُقَامُونَ صُفُوفًا لِلْعَرْضِ عَلَىٰ رَبِّ الْعِبَادِ ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ [الكهف: ٤٨].

وَيُؤْتَىٰ بِالْمُجْرِمِينَ مِنْهُمْ -وَهُمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، وَتَمَرَّدُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَاسْتَعْلَوْا فِي الْأَرْضِ- مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ، مُسَرْبَلِينَ بِالْقَطِرَانِ.

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٩- ٥١].

وَلِشِدَّةِ الْهَوْلِ تَجْثُو الْأُمَمُ عَلَىٰ الرُّكَبِ عِنْدَمَا يُدْعَىٰ النَّاسُ لِلْحِسَابِ؛ لِعِظَمِ مَا يُشَاهِدُونَ، وَمَا هُمْ فِيهِ وَاقِعُونَ.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨].

إِنَّهُ مَشْهَدٌ جَلِيلٌ عَظِيمٌ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُنَجِّيَنَا فِيهِ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، وَهُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ-.(*).

وَاللهُ -تَعَالَىٰ- هُوَ الَّذِي يُحَاسِبُ النَّاسَ جَمِيعًا بِنَفْسِهِ وَبِدُونِ وَاسِطَةٍ، قَالَ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»(٢): «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**».

وَلَقَدْ حَدَّثَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَقِيلَ لَهُ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ؟».

فَقَالَ: «كَمَا يَرْزُقُهُمْ كُلَّهُمْ فِي آنٍ وَاحِدٍ».

وَالْحِسَابُ عَلَىٰ نَوْعَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

حِسَابٌ يَسِيرٌ، وَهَذَا هُوَ الْعَرْضُ، وَهُوَ خَاصٌّ بِالْمُؤْمِنِينَ النَّاجِينَ، وَذَلِكَ بِأَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي كَانُوا قَدْ عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُعَرَّفَ الْمُؤْمِنُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيُذَكَّرَ بِالنِّعَمِ، ثُمَّ يَتَجَاوَزُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ مَشْهَدِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

(٢) تقدم تخريجه.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: حِسَابٌ عَسِيرٌ، وَهُوَ حِسَابُ الشِّدَّةِ وَالْمُنَاقَشَةِ وَالتَّدْقِيقِ لِكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنَ الْعَمَلِ، وَلِكُلِّ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ مِنَ النِّعَمِ، وَهَذا النَّوْعُ مِنَ الْحِسَابِ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ وَالْفَاجِرِ.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**».

فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧-٨]؟».

فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ إِلَّا عُذِّبَ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.(*).

الْحِسَابُ نَوْعَانِ حَسَبَ مَا وَرَدَتْ بِهِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ:

الْأَوَّلُ: الْعَرْضُ، وَهُوَ أَنْ تُعْرَضَ أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَظْهَرَ سَتْرُ اللهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنَّةُ اللهِ فِي عَفْوِهِ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ.

يَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا مَا جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: «يَا نَبِيَّ اللهِ! مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟».

قَالَ: «**أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنِ الْحِسَابِ يَوْمَ الدِّينِ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

عَائِشَةُ يَهْلِكْ، وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يُكَفِّرُ اللهُ ﷻ بِهِ عَنْهُ؛ حَتَّىٰ الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ.

وَجَاءَ فِي صِفَةِ الْعَرْضِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: «كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَىٰ؟».

فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟»**.

فَيَقُولُ: «نَعَمْ أَيْ رَبِّ».

«حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: **سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ.**

وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨]»(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

النَّوْعُ الثَّانِي: الْمُنَاقَشَةُ، وَهُوَ اسْتِقْصَاءُ أَعْمَالِ الْعَبْدِ وَإِيقَافُهُ عَلَيْهَا، وَعَدَمُ الْعَفْوِ عَنْهُ فِيهَا.

وَمِنْ هُنَا يَتَّضِحُ أَنَّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٠/ ٢٦٠، رقم ٢٤٢١٥)، وابن خزيمة (٨٤٩)، والحاكم (١/ ٣٨٥، رقم ٩٣٦) وغيرهم، وجود إسناده الألباني في «صفة الصلاة»، وحسنه في «ضعيف أبي داود» (٢/ ٤٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

أَمَّا الْآيَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨].

وأَمَّا الْحَدِيثُ فَقَوْلُهُ ﷺ: «**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ**». كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ.

فَالْمُرَادُ بِالْحِسَابِ فِي الْآيَةِ: الْعَرْضُ.

وَالْمُرَادُ بِالْحِسَابِ فِي الْحَدِيثِ: الْمُنَاقَشَةُ.(*).

وَيَكُونُ الْحِسَابُ بَعْدَ أَنْ يَشْفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ اللهِ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ فِي أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَيَبْدَأَ الْحِسَابَ، وَيَقْبَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَفَاعَتَهُ فِيهِمْ، يَأْتِي اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِلْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، فَيُعْرَضُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ؛ الْإِنْسُ، وَالْجِنُّ، وَالْحَيَوَانَاتُ، وَيَبْدَأُ الْحِسَابُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝٤٨﴾ [الكهف: ٤٨].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «الْمُرَادُ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صَفًّا وَاحِدًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ [النبأ: ٣٨].

وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ صُفُوفًا صُفُوفًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا أَنْوَاعُ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٦٥).

وَمِنْ بَعْدِ عَرْضِ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يُؤْتِي اللهُ -تَعَالَىٰ- الْعِبَادَ كُتُبَهُمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ؛ وَذَلِكَ تَكْرِيمًا لَهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَهُمُ الْكُفَّارُ؛ وَذَلِكَ زِيَادَةُ تَوْبِيخٍ وَإِهَانَةٍ لَهُمْ».

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ(١): «الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الِاخْتِلَافَ اخْتِلَافُ صِفَاتٍ، فَالَّذِي يَأْخُذُ كِتَابَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، فَيَأْخُذُ بِالشِّمَالِ، وَتُجْعَلُ يَدُهُ مِنَ الْخَلْفِ.

فَكَوْنُهُ يَأْخُذُ بِالشِّمَالِ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الشِّمَالِ، وَكَوْنُهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ لِأَنَّهُ لَمَّا اسْتَدْبَرَ كِتَابَ اللهِ وَوَلَّىٰ ظَهْرَهُ إِيَّاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ صَارَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُجْعَلَ كِتَابُ أَعْمَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَلْفَ ظَهْرِهِ.

فَعَلَىٰ هَذَا تُخْلَعُ الْيَدُ الشِّمَالُ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنَ الْخَلْفِ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٨-١٢].

فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ إِيتَاءَهُمُ الْكُتُبَ أَوَّلًا، ثُمَّ عَقَّبَ بِحَرْفِ الْفَاءِ الَّذِي يَقْتَضِي التَّرْتِيبَ وَالتَّعْقِيبَ فَذَكَرَ الْحِسَابَ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «تُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ،

---

(١) «مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين» (٨/ ٥٠٩، والتي تليها).

(٢) «العقيدة الواسطية» (ص: ٩٨).

فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ».

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ الْخَلْقَ يُؤْتَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَحَائِفَ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ حُوسِبَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا».

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «وَأَنَّ الصُّحُفَ الَّتِي تُكْتَبُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَقٌّ، نُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نَدْرِي كَيْفَ هِيَ، وَأَنَّ النَّاسَ يُعْطَوْنَ كُتُبَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -وَالْمَرْءُ يَنْظُرُ إِلَىٰ صَحِيفَةِ عَمَلِهِ فَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْعَدْلِ، وَمِنْ تَمَامِ الْإِنْصَافِ: أَنْ يُوكَلَ الْحِسَابُ إِلَىٰ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ-.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]».

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: طَائِرُهُ أَيْ: عَمَلُهُ».

وَقَالَ الْحَسَنُ(٤): «يَقْرَأُ الْإِنْسَانُ كِتَابَهُ أُمِّيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَ أُمِّيٍّ»، فَالْحِسَابُ يَكُونُ بَعْدَ عَرْضِ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَبَعْدَ أَنْ يُؤْتِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الْعِبَادَ كُتُبَهُمْ». (*).

---

(١) «رسالة إلىٰ أهل الثغر» (ص: ١٦٢).

(٢) «المحلىٰ» (١/ ٣٧).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٢٩).

(٤) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٣٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَتَىٰ يَكُونُ الْحِسَابُ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

وَأَوَّلُ الْأُمَمِ مُحَاسَبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.(*).

نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلُهُمْ؛ بَلْ أَفْضَلُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأُمَّتُهُ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَفْضَلُهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «**خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّىٰ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ**».

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ**».

فَقُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللهِ! مَا هُوَ؟».

قَالَ: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ**»(٣). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَحَسَّنَهُ ابْنُ كَثِيرٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا أَوَّلُ الْأُمَمِ مُحَاسَبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٥٧).

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَحَسَّنَهُ ابْنُ كَثِيرٍ. أخرجه أحمد (٢/ ١٥٦، رقم ٧٦٢)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١/ ٣٢٨) وغيرهما، وحسنه ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٩٤)، والألباني في «الصحيحة» (٧/ ١٦٤٣).

وَخَيْرِيَّةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلِيَّتُهَا وَعَلَىٰ رَأْسِهَا رَسُولُهَا ﷺ هِيَ لِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ -تَعَالَىٰ-، وَتَمَيَّزَتْ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا، وَهِيَ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهِيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْإِيمَانُ بِاللهِ -تَعَالَىٰ-.

لِهَذَا نَالَتِ الشَّرَفَ الْعَظِيمَ عَلَىٰ غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ.(*).

فَأَوَّلُ الْأُمَمِ مُحَاسَبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا؛ فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَىٰ يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَنْ أَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

(٢) أخرج ابن ماجه (٤٢٩٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ**»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٧٤)، وأخرج مسلم (٨٥٦) عن أبي هريرة، وحذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله ﷺ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ**».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا أَوَّلُ الْأُمَمِ مُحَاسَبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

وَهُنَا بَيَانٌ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ هُمْ آخِرُ الْأُمَمِ؛ حَيْثُ لَا أُمَّةَ بَعْدَهُمْ، وَهُمُ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْكَثْرَةِ كَمَا بَيَّنَتْهُ الْأَحَادِيثُ، وَفِي مُحَاسَبَتِهِمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ، وَالْقَضَاءِ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ؛ لِيَنْتَهُوا مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ -أَيْضًا-.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا ﷺ؛ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللهِ، وَأَكْرَمُ الرُّسُلِ عَلَىٰ اللهِ، وَبَعَثَهُ اللهُ بِشَرْعٍ كَامِلٍ عَظِيمٍ لَمْ يُعْطَهُ نَبِيٌّ قَبْلَهُ، وَلَا رَسُولٌ مِنَ الرُّسُلِ، فَالْعَمَلُ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ يَقُومُ مِنْهُ مَا لَا يَقُومُ الْعَمَلُ الْكَثِيرُ مِنْ أَعْمَالِ غَيْرِهِمْ مَقَامَهُ». (*).

يُسْتَثْنَىٰ مِنَ الْحِسَابِ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ فَإِنَّهُ لَا يُحَاسَبُ، كَمَا جَاءَ عَنْ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**».

قَالُوا: «وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»(٣). رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (*/٢).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَنْ أَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٨) من حديث عمران بن حصين.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا أَوَّلُ الْأُمَمِ مُحَاسَبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

وَأَمَّا صِفَةُ بِدَايَةِ الْحِسَابِ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩].

عِنْدَمَا يَجِيءُ الرَّبُّ -جَلَّ جَلَالُهُ- لِفَصْلِ الْقَضَاءِ تُضِيءُ الْأَرْضُ بِنُورِهِ -سُبْحَانَهُ-، وَتُوضَعُ كُتُبُ الْأَعْمَالِ، وَيَشْهَدُ الْأَنْبِيَاءُ بِتَبْلِيغِهِمْ رِسَالَاتِ اللهِ لِأُمَمِهِمْ، وَكَذَا الْحَفَظَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِمَا كَتَبُوا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

قَالَ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): «ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْكِتَابَ يُوضَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ: جِنْسُ الْكِتَابِ، فَيَشْمَلُ جَمِيعَ الصُّحُفِ الَّتِي كُتِبَتْ فِيهَا أَعْمَالُ الْمُكَلَّفِينَ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ الْمُجْرِمِينَ يُشْفِقُونَ مِمَّا فِيهِ، أَيْ: يَخَافُونَ مِنْهُ».

وَيَحْكُمُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بَيْنَ عِبَادِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ جَمِيعًا، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَيَغْفِرُ وَيَرْحَمُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَيَمْلَأُ النَّارَ مِنَ الْكُفَّارِ وَأَصْحَابِ الْمَعَاصِي، ثُمَّ يُنَجِّي أَصْحَابَ الْمَعَاصِي، وَيُخَلِّدُ فِيهَا الْكَافِرِينَ.

وَهُوَ الْحَكَمُ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

---

(١) «أضواء البيان» (٣/ ٢٨٧).

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَهُولِ تَظْهَرُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، وَالَّتِي كَانَتْ نَسْيًا مَنْسِيًّا عِنْدَ بَعْضِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ﴾ [آل عمران: ٣٠].

فَالْأَعْمَالُ -خَيْرُهَا وَشَرُّهَا- حَاضِرَةٌ، وَهِيَ حَصَادُ مَا زُرِعَ، كُلُّهَا مُعَلَّقَةٌ فِي عُنُقِهِ، لَا فَكَاكَ مِنْ سَيِّئِهَا وَإِنْ وَدَّ ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣- ١٤].

وَكُلٌّ فِي صَمْتٍ؛ مَاذَا يَصْدُرُ مِنَ الْإِلَهِ الْحَقِّ الْحَكَمِ الْعَدْلِ ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [هود: ١٠٥].

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ﴾ [غافر: ١٨].

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨].

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: ١١١].

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ [النازعات: ٨- ٩].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا صِفَةُ بِدَايَةِ الْحِسَابِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

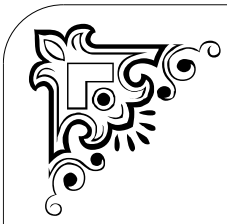

قَوَاعِدُ مُحَاسَبَةِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي يُحَاسِبُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهَا الْعِبَادَ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ عَدْلِهِ -تَعَالَىٰ- وَتَمَامِ فَضْلِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ مُفَرَّقَةً فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

عَدْلُ اللهِ التَّامُّ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يَكْذِبُونَنِي، وَيَخُونُونَنِي، وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتِمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ؛ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟».

قَالَ: «يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمُ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الفَضْلُ».

قَالَ: «فَتَنَحَّىٰ الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ**: ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾**﴾ [الأنبياء: ٤٧]؟».

فَقَالَ الرَّجُلُ: «وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾**﴾ [يس: ٥٤].

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا**﴾، ﴿**شَيْـًٔا**﴾: نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، فَتَنْفِي الْعُمُومَ، فَلَا يُوجَدُ هُنَاكَ أَيُّ نَوْعٍ مِنْ ظُلْمٍ.

فَاللهُ -تَعَالَىٰ- لَا يَظْلِمُ أَحَدًا شَيْئًا؛ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا.

وَلَا يُشْكِلُ عَلَىٰ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾**﴾ [الرعد: ١٨].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾**﴾ [الرعد: ٢١].

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣/ ٤٠٦، رقم ٢٦٤٠١)، والترمذي (٣١٦٥) وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/ ٥٦٥).

فَالْمَقْصُودُ بِالسُّوءِ: الشِّدَّةُ، وَالْعُسْرُ فِي التَّدْقِيقِ، وَأَنَّهُمْ يُحَاسَبُونَ عَلَىٰ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَالْجَلِيلِ وَالْحَقِيرِ، لَا أَنَّهُمْ يُظْلَمُونَ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ(١): «﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ أَيْ: لَا يُقْبَلُ لَهُمْ حَسَنَةٌ، وَلَا يُتَجَاوَزُ لَهُمْ عَنْ سَيِّئَةٍ.

وَقَالَ فَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ: قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: يَا فَرْقَدُ! أَتَدْرِي مَا سُوءُ الْحِسَابِ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: **أَنْ يُحَاسَبَ الرَّجُلُ بِذَنْبِهِ كُلِّهِ، لَا يُفْقَدُ مِنْهُ شَيْءٌ**».

وَيَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

وَالشَّاهِدُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وَهَذِهِ الْآيَةُ وَرَدَتْ فِي كِتَابِ اللهِ فِي أَحَدَ عَشَرَ مَوْضِعًا.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ -أَيْضًا- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وَقَوْلُهُ -جَلَّ جَلَالُهُ-: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩].

وَقَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤].

---

(١) «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٠٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩].

وَقَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [النحل: ١١١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يس: ٥٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم: ٣٩- ٤١].

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ.

فَهَذِهِ مِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي يُحَاسَبُ الْعِبَادُ عَلَىٰ أَسَاسِهَا: عَدْلُ اللهِ التَّامُّ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا يُؤَاخَذُ أَحَدٌ بِجَرِيرَةِ غَيْرِهِ.

فَلَا يَتَحَمَّلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ، ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ﴾ [فاطر: ١٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم: ٣٦- ٤١].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر: ١٨].

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٤- ٢٥].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٢- ١٣]؛ فَهَؤُلَاءِ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يُؤَاخَذُوا بِذُنُوبِ غَيْرِهِمْ، بَلْ بِذُنُوبِهِمْ وَبِفِعْلِهِمْ؛ فَإِنَّ جَزَاءَ مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ ضَلَالَةٍ أَنْ يَأْخُذَ إِثْمَ مَنْ دَعَاهُ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا دَعْوَتُهُ لِهَؤُلَاءِ لَمَا ضَلُّوا هَذَا الضَّلَالَ، فَإِضْلَالُهُ لَهُمْ مِنْ فِعْلِهِ وَكَسْبِهِ، فَيُعَاقَبُ عَلَيْهِ.

كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ**

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي يَتِمُّ عَلَىٰ أَسَاسِهَا مُحَاسَبَةُ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِطْلَاعُ الْعِبَادِ عَلَىٰ مَا قَدَّمُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بِإِعْطَائِهِمُ الْكُتُبَ الَّتِي سُجِّلَتْ عَلَيْهِمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي عَلَىٰ أَسَاسِهَا تَتِمُّ الْمُحَاسَبَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مُضَاعَفَةُ الْحَسَنَاتِ دُونَ السَّيِّئَاتِ.

وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَكَمَالِ عَدْلِهِ، فَالْحَسَنَةُ يُضَاعِفُهَا إِلَىٰ عَشْرِ حَسَنَاتٍ، إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ؛ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَمِنَّةً، وَأَمَّا السَّيِّئَةُ فَلَا تُكْتَبُ إِلَّا بِمِثْلِهَا؛ عَدْلًا مِنْهُ -تَعَالَىٰ-.

قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ جَلَّوَعَلَا قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَمَنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي عَلَىٰ أَسَاسِهَا تَتِمُّ الْمُحَاسَبَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: تَبْدِيلُ السَّيِّئَاتِ حَسَنَاتٍ.

فَتَبْلُغُ رَحْمَةُ اللهِ جَلَّوَعَلَا وَفَضْلُهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يُبَدِّلَ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ؛ رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا.**

فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟

فَيَقُولُ: نَعَمْ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ.

فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً.

فَيَقُولُ: رَبِّ! قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا.

فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي عَلَىٰ أَسَاسِهَا تَتِمُّ الْمُحَاسَبَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِقَامَةُ الشُّهُودِ عَلَىٰ النَّاسِ، وَإِقَامَةُ الْمِيزَانِ، وَوَزْنُ الْأَعْمَالِ.(*).

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم (١٩٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الْقَوَاعِدُ الَّتِي يُحَاسَبُ الْعِبَادُ عَلَىٰ أَسَاسِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

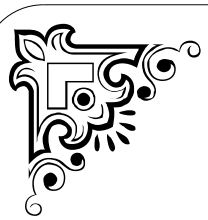

الشُّهُودُ عَلَى الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

اللهُ -سُبْحَانَهُ- مُتَّصِفٌ بِالْعَدْلِ الْمُطْلَقِ، مُنَزَّهٌ عَنِ الظُّلْمِ، وَقَدْ شَاءَ تَعَالَىٰ -لِكَمَالِ عَدْلِهِ- أَنْ يُظْهِرَ لِكُلِّ شَخْصٍ عَمَلَهُ بِمَا يَقْطَعُ حُجَّتَهُ.

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧].

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ دِقَّةِ الْحِسَابِ: الشُّهُودُ، وَصُحُفُ الْأَعْمَالِ، وَوَزْنُهَا.

فَأَمَّا الشُّهُودُ فَهَذَا مِنْ تَمَامِ إِظْهَارِ الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا يَسْتَشْهِدُ عَلَىٰ الْمُذْنِبِينَ قَبْلَ إِدَانَتِهِمْ مَعَ عِلْمِهِ جَلَّوَعَلَا الْقَاطِعِ بِمَا عَمِلُوا.(*).

اللهُ -تَعَالَىٰ- مُطَّلِعٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِهِمْ وَمَا يَخْفَىٰ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَمَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ دِقَّةِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وَيَعْلَمُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَىٰ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَنْ يُخْبِرُهُ عَنْ عِبَادِهِ، أَوْ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا فَعَلُوهُ.

إِلَّا إِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- مِنْ كَمَالِ عَدْلِهِ وَإِعْذَارًا لِلْعَالَمِينَ أَقَامَ عَلَيْهِمُ الشُّهُودَ، وَنَوَّعَ أُولَئِكَ الشُّهُودَ وَكَثَّرَهُمْ؛ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ الْحُجَجُ، وَتَخْرَسَ الْأَفْوَاهُ، وَتُقِرَّ الْجُمُوعُ بِعَدْلِ اللهِ الْمُطْلَقِ.

وَهَؤُلَاءِ الشُّهُودُ كُثُرٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ إِقَامَةِ الشُّهُودِ عَلَىٰ النَّاسِ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الشُّهُودِ: الْأَنْبِيَاءُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

يَشْهَدُونَ عَلَىٰ أُمَمِهِمْ بِالْبَلَاغِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، وَيَشْهَدُونَ لِمَنْ آمَنَ بِالْإِيمَانِ، وَعَلَىٰ مَنْ كَفَرَ بِالْكُفْرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [النحل: ٨٤].

فَيَشْهَدُ كُلُّ نَبِيٍّ عَلَىٰ أُمَّتِهِ، وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ لِلرُّسُلِ عَلَىٰ أُمَمِهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُمْ عَنِ اللهِ جَلَّوَعَلَا مَا أُرْسِلُوا بِهِ.(*).

يَشْهَدُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كُلُّ رَسُولٍ عَلَىٰ أُمَّتِهِ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَهُمْ وَبَيَّنَ لَهُمْ، وَأَزَالَ عَنْهُمُ الشُّبَهَ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧].

يَعْنِي: إِذَا جَاءَ الرَّسُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُضِيَ بَيْنَهُمْ، وَسَمَّاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَهِيدًا، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النحل: ٨٤].

﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [القصص: ٧٥].

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النحل: ٨٩].

أَيْ: نَبْعَثُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا -وَهُوَ الرَّسُولُ- مَنْ يَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ دِقَّةِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

أَلَا يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمَعْنَىٰ: نَبْعَثُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا الدُّنْيَا؟

لَا يُحْتَمَلُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ.(*).

شَهَادَةُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

بَعْدَ أَنْ تَشْهَدَ الرُّسُلُ عَلَىٰ أَقْوَامِهِمْ لَا تَجِدُ هَذِهِ الْأُمَمُ مَهْرَبًا إِلَّا بِتَكْذِيبِ رُسُلِهِمْ، فَيَقُومُونَ وَيُنْكِرُونَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَيُكَذِّبُونَهُمْ كَمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ.

فَتَقُومُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ فَتَشْهَدُ لِلرُّسُلِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: هَلْ بَلَّغْتَ؟**».

فَيَقُولُ: «**نَعَمْ يَا رَبِّ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ شَهَادَةِ الرُّسُلِ عَلَىٰ أُمَمِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: «**هَلْ بَلَّغَكُمْ؟**».

فَيَقُولُونَ: «**لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ**».

فَيَقُولُ لِنُوحٍ: «**مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟**».

فَيَقُولُ: «**مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ**».

فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]»[1]. وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[2] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ**».

فَيُقَالُ لَهُ: «**هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟**».

فَيَقُولُ: «**نَعَمْ**».

«**فَيُدْعَىٰ قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟**».

فَيَقُولُونَ: «**لَا**».

فَيُقَالُ: «**مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟**».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٣٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٩٤٠) وغيرهما؛ قال الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٥٧٧): «هذا إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين».

فَيَقُولُ: «**مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ**».

«**فَتُدْعَىٰ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟**».

فَيَقُولُونَ: «**نَعَمْ**».

فَيَقُولُ: «**وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟**».

فَيَقُولُونَ: «**أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَصَدَّقْنَاهُ**».

قَالَ: «**فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** [البقرة: ١٤٣]».

وَذِكْرُ رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ بَعْدَ ذِكْرِ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ إِنَّمَا هُوَ لِأَنَّ رِوَايَةَ الْبُخَارِيِّ لَمْ يُذْكَرْ فِيهَا إِلَّا نُوحٌ عليه السلام، بَيْنَمَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ ذُكِرَ الْعُمُومُ فِي جَمِيعِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، فَكَانَتْ كَالتَّفْسِيرِ لِمَا قَبْلَهَا.(*).

شَهَادَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

فَتَدُلُّ الْآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ رَسُولَنَا ﷺ يَشْهَدُ عَلَىٰ أُمَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ.

وَيَدُلُّ -أَيْضًا- عَلَيْهِ عُمُومُ النُّصُوصِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ يَشْهَدُ عَلَىٰ أُمَّتِهِ، وَمِنْهُمْ رَسُولُنَا ﷺ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ شَهَادَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

وَلَكِنْ هَلْ يَشْهَدُ عَلَىٰ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ مَعَ شَهَادَتِهِ ﷺ عَلَىٰ أُمَّتِهِ؟

مِمَّا يُقَوِّي هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

فَاسْمُ الْإِشَارَةِ ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ يُحْتَمَلُ عَوْدُهُ عَلَىٰ الْمَعْهُودِ الذِّهْنِيِّ، وَهُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ، وَيُحْتَمَلُ عَوْدُهُ عَلَىٰ الْمَعْهُودِ الذِّكْرِيِّ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ قَبْلُ، وَهُمُ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ تَشْهَدُ عَلَىٰ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَنَبِيُّنَا أَوْلَىٰ؛ لَاسِيَّمَا وَأَنَّهَا إِنَّمَا شَهِدَتْ بِنَاءً عَلَىٰ مَا أَخَذَتْ مِنْ رَسُولِهَا ﷺ؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ.**

فَيُقَالُ لَهُ: «هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟».

فَيَقُولُ: «نَعَمْ».

«فَيُدْعَىٰ قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟».

فَيَقُولُونَ: «لَا».

فَيُقَالُ: «مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟».

فَيَقُولُ: «مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ».

«**فَتُدْعَىٰ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟**».

فَيَقُولُونَ: «**نَعَمْ**».

فَيَقُولُ: «**وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟**».

فَيَقُولُونَ: «**أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَصَدَّقْنَاهُ**».

قَالَ: «**فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** [البقرة: ١٤٣]». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «**فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ**» يَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ صَرَاحَةً.(*).

وَمِنَ الشُّهُودِ: الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ سَجَّلُوا الْأَعْمَالَ وَشَهِدُوا الْمَعَاصِيَ.(*/٢).

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ(٣): «﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢١] أَيْ: مَلَكٌ يَسُوقُهُ إِلَىٰ الْمَحْشَرِ، وَمَلَكٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِأَعْمَالِهِ، هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ شَهَادَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ دِقَّةِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٠١).

الْكَرِيمَةِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «إِنَّ الشَّهِيدَ هُوَ الْأَعْمَالُ، وَقِيلَ: بَلْ هُوَ الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ، كَمَا نَقَلَ هَذَا ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي مَرَّ»(١).

وَقَالَ -أَيْضًا- رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ(٢): «﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ [ق: ٢٣- ٢٦].

يَقُولُ -تَعَالَىٰ- مُخْبِرًا عَنِ الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِعَمَلِ ابْنِ آدَمَ أَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا فَعَلَ.

وَيَقُولُ: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ أَيْ: مُعْتَدٌّ مُحْضَرٌ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا كَلَامُ الْمَلَكِ السَّائِقِ، يَقُولُ: هَذَا ابْنُ آدَمَ الَّذِي وَكَّلْتَنِي بِهِ قَدْ أَحْضَرْتُهُ.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنْ يَعُمَّ السَّائِقَ وَالشَّهِيدَ، وَلَهُ اتِّجَاهٌ وَقُوَّةٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْكُمُ تَعَالَىٰ فِي الْخَلِيقَةِ بِالْعَدْلِ، فَيَقُولُ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَالَ مُطَرِّف، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ -مَوْلَىٰ أَشْجَعَ-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: السَّائِقُ: الْمَلَكُ وَالشَّهِيدُ: الْعَمَلُ. وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ.
وَقَالَ العَوْفِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: السَّائِقُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالشَّهِيدُ: الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ، يَشْهَدُ عَلَىٰ نَفْسِهِ. وَبِهِ قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزاحِم أَيْضًا».

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٠٢).

وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مُخَاطَبَةُ السَّائِقِ وَالشَّهِيدِ، فَالسَّائِقُ أَحْضَرَهُ إِلَىٰ عَرَصَةِ الْحِسَابِ، فَلَمَّا أَدَّىٰ الشَّهِيدُ مَا عَلَيْهِ أَمَرَهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ بِإِلْقَائِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ أَيْ: كَثِيرِ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ، عَنِيدٍ مُعَارِضٍ لِلْحَقِّ، مُعَارِضٍ لَهُ بِالْبَاطِلِ مَعَ عِلْمِهِ بِذَلِكَ».

إِذَنْ؛ فَهَذَا يُرَجِّحُ أَنَّ الشَّهِيدَ هُوَ أَحَدُ الْمَلَائِكَةِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ يُؤْمَرُونَ بِأَخْذِ الْكَافِرِ إِلَىٰ النَّارِ إِنَّمَا هُمُ الْمَلَائِكَةُ.

وَهَذَا الشَّهِيدُ بَعْدَ أَنْ شَهِدَ عَلَىٰ الْكَافِرِ أُمِرَ بِأَخْذِهِ إِلَىٰ النَّارِ، فَدَلَّ أَنَّهُ مَلَكٌ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

فَهَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ هُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١) قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**».

قَالَ: قُلْنَا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ! أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟**».

قَالَ: يَقُولُ: «**بَلَىٰ**».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٩).

قَالَ: فَيَقُولُ: «**فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي**».

قَالَ: فَيَقُولُ: «**كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا**».

قَالَ: «**فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي**».

قَالَ: «**فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ**».

قَالَ: «**ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ**».

قَالَ: فَيَقُولُ: «**بُعْدًا لَكُنَّ** -يُخَاطِبُ أَرْكَانَهُ وَأَعْضَاءَهُ- **وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**».(*).

وَمِنَ الشُّهُودِ: شَهَادَةُ الْأَرْضِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، تَشْهَدُ الْأَرْضُ عَلَىٰ كُلِّ مَخْلُوقٍ مَا أَحْدَثَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.(*/٢).

بَعْدَ أَنْ يَشْهَدَ الشُّهُودُ يُفَاجَأُ الْكَافِرُ أَنَّهُ لَيْسَ فَقَطْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ الْأَحْيَاءُ؛ بَلْ حَتَّىٰ الْجَمَادَاتُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِبَالِهِ أَنْ تَشْهَدَ تَشْهَدُ عَلَيْهِ.

فَمِنْ جُمْلَةِ مَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَمَادَاتِ: الْأَرْضُ الَّتِي فَعَلَ الْمَعْصِيَةَ عَلَيْهَا.(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ شَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ دِقَّةِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ شَهَادَةِ الْأَرْضِ عَلَىٰ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٤ - ٥].

«﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ أَيْ: تَشْهَدُ عَلَىٰ الْعَامِلِينَ بِمَا عَمِلُوا عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَإِنَّ الْأَرْضَ مِنْ جُمْلَةِ الشُّهُودِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ عَلَىٰ الْعِبَادِ بِأَعْمَالِهِمْ، ذَلِكَ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أَيْ: أَمَرَهَا أَنْ تُخْبِرَ بِمَا عُمِلَ عَلَيْهَا، فَلَا تَعْصِي لِأَمْرِهِ»(١).

شَهَادَةُ الْجَوَارِحِ عَلَىٰ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَشْهَدُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَوَارِحُهُ، فَكَمَا تُحَدِّثُ الْأَرْضُ عَنْ أَخْبَارِ النَّاسِ وتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ، كَذَلِكَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ، وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ، وَجُلُودُهُمْ عِنْدَمَا يُمَارِي الْإِنْسَانُ وَلَا يَرْضَىٰ إِلَّا شَاهِدًا مِنْ نَفْسِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾ [يس: ٦٥].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [النور: ٢٤].

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.(*).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١١٠٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ دِقَّةِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

تَشْهَدُ عَلَىٰ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْأَلْسُنُ، وَالْأَيْدِي، وَالْأَرْجُلُ، وَالْجُلُودُ، وَالْأَسْمَاعُ، وَالْأَبْصَارُ.

وَهَذِهِ الْجَوَارِحُ الْخَرْسَاءُ الَّتِي لَا تَعْقِلُ وَلَا تُدْرِكُ يُنْطِقُهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِقُدْرَتِهِ، فَتَشْهَدُ عَلَىٰ صَاحِبِهَا بِمَا جَنَتْ يَدَاهُ.(*).

«﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]: فَكُلُّ جَارِحَةٍ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا عَمِلَتْهُ، يُنْطِقُهَا الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يُمْكِنُهُ الْإِنْكَارُ، وَلَقَدْ عَدَلَ فِي الْعِبَادِ مَنْ جَعَلَ شُهُودَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ١٩- ٢٢].

«يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- عَنْ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ بَارَزُوهُ بِالْكُفْرِ بِهِ وَبِآيَاتِهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ وَمُعَادَاتِهِمْ وَمُحَارَبَتِهِمْ، وَحَالِهِمِ الشَّنِيعَةِ حِينَ يُحْشَرُونَ، أَيْ: يُجْمَعُونَ إِلَىٰ النَّارِ ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ أَيْ: يُرَدُّ أَوَّلُهُمْ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، وَيَتْبَعُ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمْ، وَيُسَاقُونَ إِلَيْهَا سَوْقًا عَنِيفًا، لَا يَسْتَطِيعُونَ امْتِنَاعًا، وَلَا يَنْصُرُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ شَهَادَةِ الْأَرْضِ عَلَىٰ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٦٦١).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ أَيْ: حَتَّىٰ إِذَا وَرَدُوا عَلَىٰ النَّارِ، وَأَرَادُوا الْإِنْكَارَ، أَوْ أَنْكَرُوا مَا عَمِلُوهُ مِنَ الْمَعَاصِي؛ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ عُمُومٌ بَعْدَ خُصُوصٍ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ أَيْ: شَهِدَ عَلَيْهِمْ كُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِمْ، فَكُلُّ عُضْوٍ يَقُولُ: أَنَا فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَخَصَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ الثَّلَاثَةَ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الذُّنُوبِ إِنَّمَا تَقَعُ بِهَا أَوْ بِسَبَبِهَا.

فَإِذَا شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ عَاتَبُوهَا، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الشَّهَادَةَ تَقَعُ مِنْ كُلِّ عُضْوٍ كَمَا ذَكَرْنَا: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نُدَافِعُ عَنْكُنَّ؟!!

﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فَلَيْسَ فِي إِمْكَانِنَا الِامْتِنَاعُ عَنِ الشَّهَادَةِ حِينَ أَنْطَقَنَا الَّذِي لَا يَسْتَعْصِي عَنْ مَشِيئَتِهِ أَحَدٌ.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: فَكَمَا خَلَقَكُمْ بِذَوَاتِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ خَلَقَ -أَيْضًا- صِفَاتِكُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ: الْإِنْطَاقُ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ فِي الْآخِرَةِ، فَيَجْزِيكُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ الِاسْتِدْلَالُ عَلَىٰ الْبَعْثِ بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ كَمَا هُوَ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أَيْ: وَمَا كُنْتُمْ تَخْتَفُونَ عَنْ شَهَادَةِ أَعْضَائِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَلَا تُحَاذِرُونَ مِنْ ذَلِكَ، ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ بِإِقْدَامِكُمْ عَلَىٰ الْمَعَاصِي ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾؛ فَلِذَلِكَ صَدَرَ مِنْكُمْ مَا صَدَرَ، وَهَذَا الظَّنُّ صَارَ سَبَبَ هَلَاكِهِمْ وَشَقَائِهِمْ»[1].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٨٧٩).

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه **قَالَ**: «اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ؛ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ اللهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟

وَقَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا.

وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَهُوَ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا.

فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢]»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**».

قَالَ: قُلْنَا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ! أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟**».

قَالَ: يَقُولُ: «**بَلَىٰ**».

قَالَ: فَيَقُولُ: «**فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي**».

قَالَ: فَيَقُولُ: «**كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا**».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).

قَالَ: «**فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي**».

قَالَ: «**فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ**».

قَالَ: «**ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ**».

قَالَ: فَيَقُولُ: «**بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.(*).

اللهُ جَلَّ وَعَلَا **أَعْظَمُ شَهِيدٍ، وَأَجَلُّ شَهِيدٍ**؛ فَبَعْدَ أَنْ تَشْهَدَ الْأَحْيَاءُ وَالْجَمَادَاتُ، وَتَنْتَهِيَ هَذِهِ الشَّهَادَاتُ؛ تَأْتِي الشَّهَادَةُ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ الَّتِي لَا يُسْتَطَاعُ لَهَا تَكْذِيبٌ، وَلَا مِنْهَا هُرُوبٌ.

وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَشْهَدُ أَجَلُّ شَهِيدٍ وأَعْظَمُ شَهِيدٍ، وَهُوَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ -جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ-.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: ٩٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٣- ٥٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ شَهَادَةِ الْأَرْضِ عَلَىٰ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ [الأحزاب: ٥٥].

وَإِذَا رَأَىٰ الْعَبْدُ الْحَقَّ، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَرَأَىٰ كُلَّ مَا عَمِلَهُ مَكْتُوبًا فِي صَحِيفَتِهِ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الشُّهُودُ، وَرَأَىٰ أَنَّهُ لَا بُرْهَانَ لَهُ وَلَا حُجَّةَ؛ أَقَرَّ وَاعْتَرَفَ بِمَا جَنَىٰ وَاقْتَرَفَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَعْظَمُ شَهِيدٍ، وَأَجَلُّ شَهِيدٍ)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

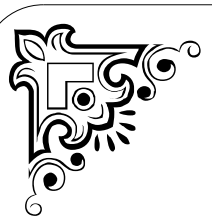

نَشْرُ الصُّحُفِ وَالْكُتُبِ
عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

«يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَتُنْشَرُ؛ أَيْ: تُفَرَّقُ، وَتُفْتَحُ لِقَارِئِهَا.

وَالدَّوَاوِينُ: جَمْعُ دِيوَانٍ، وَهُوَ السِّجِلُّ الَّذِي يُكْتَبُ فِيهِ مَا كَانَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمِنْهُ دَوَاوِينُ بَيْتِ الْمَالِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ؛ يَعْنِي: الَّتِي كَتَبَتْهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِأَعْمَالِ بَنِي آدَمَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ٩- ١٢].

فَيُكْتَبُ هَذَا الْعَمَلُ، وَيَكُونُ لَازِمًا لِلْإِنْسَانِ فِي عُنُقِهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَ اللهُ هَذَا الْكِتَابَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣- ١٤]»[1]. (*).

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢/ ١٤٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ =

الصُّحُفُ لُغَةً: جَمْعُ صَحِيفَةٍ، وَهِيَ الَّتِي يُكْتَبُ فِيهَا، وَالصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ انْبِسَاطٍ فِي شَيْءٍ وَسَعَةٍ.

وَأَمَّا نَشْرُ الصُّحُفِ شَرْعًا فَهُوَ: تَوْزِيعُ الصُّحُفِ الَّتِي كُتِبَتْ فِيهَا أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ ثُبُوتِ الصُّحُفِ وَنَشْرِهَا: الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالْإِجْمَاعُ.

أَمَّا الْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ فَكَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير: ١٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧- ١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة: ٢٥].

وَأَمَّا الْأَدِلَّةُ مِنَ السُّنَّةِ الْمُشَرَّفَةِ فَكَثِيرَةٌ أَيْضًا، مِنْهَا:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يُدْنَىٰ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟**

=

وَمَا يُكْتَبُ فِيهَا)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ.

قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ.

فَيُعْطَىٰ صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**طُوبَىٰ لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»(٢). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ؛ فَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَئِمَّةِ.

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ(٣): «وَيُؤْمِنُ أَهْلُ الدِّينِ وَالسُّنَّةِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَنَشْرِ الصُّحُفِ الَّتِي فِيهَا مَثَاقِيلُ الذَّرِّ مِنَ الْخَيْرِ وَغَيْرِهَا».

وَمِنْ أَقْوَالِ أَئِمَّةِ السَّلَفِ فِي إِثْبَاتِ نَشْرِ الصُّحُفِ: قَوْلُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ(٤): «وَيُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا».

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ(٥): «تُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨١٨)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٨٩) وغيرهما، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٣٥٦).

(٣) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص: ٦).

(٤) «مقدمة أبي زيد القيرواني» (ص: ٥٩).

(٥)«العقيدة الواسطية» (ص: ٩٨).

وَأَمَّا صِفَةُ نَشْرِ الصُّحُفِ؛ فَعَمَلُ الْإِنْسَانِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الدُّنْيَا قَدْ أُحْصِيَ عَلَيْهِ، فَيُخْرَجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ.

فَيَلْقَىٰ كِتَابَهُ مَنْشُورًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَىٰ مَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ.

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَأْخُذُونَ صَحَائِفَ أَعْمَالِهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَيَأْخُذُونَهَا بِشَمَائِلِهِمْ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ.

وَلَا عِلْمَ لَنَا بِكَيْفِيَّةِ أَخْذِهِمْ بِشَمَائِلِهِمْ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ، فَنَتَوَقَّفُ عَنِ الْبَحْثِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ غَيْبِيٌّ.

فَيَفْرَحُ الْمُؤْمِنُ وَيَقُولُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ١٩- ٢٠].

وَيَكُونُ جَزَاؤُهُ ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢١- ٢٤].

وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَدْعُو بِالْوَيْلِ وَيَقُولُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٥- ٢٩].

وَيَكُونُ جَزَاؤُهُ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣٢].

فَإِذَا نُشِرَتِ الصُّحُفُ حُوسِبُوا بِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧- ٨].

فَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ﴾ لِلتَّعْقِيبِ، فَبَعْدَ أَخْذِ الْكِتَابِ يَبْدَأُ الْحِسَابُ.(*).

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «لَقَدْ أَنْصَفَكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبًا عَلَىٰ نَفْسِكَ».

وَالْكِتَابَةُ فِي صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ إِمَّا لِلْحَسَنَاتِ وَإِمَّا لِلسَّيِّئَاتِ، وَالَّذِي يُكْتَبُ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ، وَمَا نَوَاهُ، وَمَا هَمَّ بِهِ.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ:

- أَمَّا مَا عَمِلَهُ فَظَاهِرٌ أَنَّهُ يُكْتَبُ.

- وَأَمَّا مَا نَوَاهُ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ؛ لَكِنْ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ النِّيَّةِ فَقَطْ كَامِلًا، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ لَهُ مَالٌ يُنْفِقُهُ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ.

فَقَالَ الْفَقِيرُ: «لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**»(٢). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ نَشْرِ الصُّحُفِ وَأَدِلَّتِهِ وَصِفَتِهِ)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

(٢) أخرج أحمد (٢٩/ ٥٥٢، رقم ١٨٠٢٤)، وابن ماجه (٤٢٢٨) وغيرهما عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ مَالِ هَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ**». قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ**»، «**وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِيهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ مِثْلُ هَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ**» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ**»، وصححه لغيره =

وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمَا لَيْسَا سَوَاءً فِي الْأَجْرِ مِنْ حَيْثُ الْعَمَلُ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ لَمَّا أَتَوْا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَهْلَ الدُّثُورِ سَبَقُونَا».

فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «**تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ**».

فَلَمَّا سَمِعَ الْأَغْنِيَاءُ بِذَلِكَ فَعَلُوا مِثْلَهُ، فَرَجَعَ الْفُقَرَاءُ يَشْكُونَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ بِنِيَّتِكُمْ أَدْرَكْتُمْ عَمَلَهُمْ، وَلِأَنَّ هَذَا هُوَ الْعَدْلُ، فَرَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ لَا يَكُونُ كَالَّذِي عَمِلَ؛ لَكِنْ يَكُونُ مِثْلَهُ فِي أَجْرِ النِّيَّةِ فَقَطْ.

وَأَمَّا الْهَمُّ فَيَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَهُمَّ بِالشَّيْءِ، وَيَفْعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْهُ، ثُمَّ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِكْمَالِهِ.

فَهَذَا يُكْتَبُ لَهُ الْأَجْرُ كَامِلًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

وَهَذِهِ بُشْرَىٰ لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ، إِذَا نَوَىٰ الْإِنْسَانُ أَنْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَ

=

الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٥٢٠).

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٩)، ومسلم (٥٩٥).

النَّاسَ بِعِلْمِهِ، وَيَذُبَّ عَنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَنْشُرَ دِينَ اللهِ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ ذَلِكَ بِأَنْ مَاتَ -مَثَلًا- وَهُوَ فِي طَلَبِهِ؛ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ مَا نَوَاهُ وَسَعَىٰ إِلَيْهِ.

بَلْ إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مِنْ عَادَتِهِ الْعَمَلُ، وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ لِسَبَبٍ؛ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُهُ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ قِسْمَيِ الْهَمِّ: أَنْ يَهُمَّ بِالشَّيْءِ وَيَتْرُكَهُ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، فَيُكْتَبُ لَهُ بِهِ حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ؛ لِنِيَّتِهِ.

وَأَمَّا السَّيِّئَاتُ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَا عَمِلَهُ، وَيُكْتَبُ عَلَيْهِ مَا أَرَادَهُ وَسَعَىٰ فِيهِ وَلَكِنْ عَجَزَ عَنْهُ، وَيُكْتَبُ عَلَيْهِ مَا نَوَاهُ وَتَمَنَّاهُ.

- فَالْأَوَّلُ وَاضِحٌ.

- وَالثَّانِي يُكْتَبُ عَلَيْهِ كَامِلًا؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِذَا الْتَقَىٰ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الْقَاتِلُ؛ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟».

قَالَ: «**لِأَنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ قَتْلِ صَاحِبِهِ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

وَمِثْلُهُ مَنْ هَمَّ أَنْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ؛ وَلَكِنْ حَصَلَ لَهُ مَانِعٌ، فَهَذَا يُكْتَبُ عَلَيْهِ الْوِزْرُ كَامِلًا؛ لِأَنَّهُ سَعَىٰ فِيهِ.

الثَّالِثُ: الَّذِي نَوَاهُ وَتَمَنَّاهُ يُكْتَبُ عَلَيْهِ؛ لَكِنْ بِالنِّيَّةِ.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ عَنْ رَجُلٍ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا فَكَانَ يَتَخَبَّطُ فِيهِ.

فَقَالَ رَجُلٌ فَقِيرٌ: «لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، وَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»(١).

وَلَوْ هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ وَلَكِنْ تَرَكَهَا؛ فَهَذَا عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

إِنْ تَرَكَهَا عَجْزًا فَهُوَ كَالْعَامِلِ إِذَا سَعَىٰ فِيهَا.

وَإِنْ تَرَكَهَا لِلَّهِ كَانَ مَأْجُورًا.

وَإِنْ تَرَكَهَا لِأَنَّ نَفْسَهُ عَزَفَتْ عَنْهَا، أَوْ لَمْ تَطْرَأْ عَلَىٰ بَالِهِ؛ فَهَذَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَلَا أَجْرَ لَهُ.

وَاللهُ ﷻ يَجْزِي بِالْحَسَنَاتِ أَكْثَرَ مِنَ الْعَمَلِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَاتِ إِلَّا مِثْلَ الْعَمَلِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾**﴾ [الأنعام: ١٦٠].

---

(١) تقدم تخريجه.

وَهَذَا مِنْ كَرَمِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَمِنْ كَوْنِ رَحْمَتِهِ سَبَقَتْ غَضَبَهُ»(١). (*).

وَأَمَّا صِفَةُ أَخْذِ النَّاسِ الْكُتُبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَالنَّاسُ يَنْقَسِمُونَ:

فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَهَذا إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ لِلْيُمْنَىٰ الْإِكْرَامَ؛ وَلِذَلِكَ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنُ كِتَابَهُ بِهَا.

وَالْكَافِرُ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

النَّاسُ يَأْخُذُونَ كُتُبَهُمْ عَلَىٰ هَذَا عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: بِالْيَمِينِ، وَبِالشِّمَالِ، وَمِنْ وَرَاءِ الظَّهْرِ.

وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ هَذَا الِاخْتِلَافَ اخْتِلَافُ صِفَاتٍ، فَالَّذِي يَأْخُذُ كِتَابَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، فَيَأْخُذُ بِالشِّمَالِ وَتُجْعَلُ يَدُهُ مِنَ الْخَلْفِ.

- فَكَوْنُهُ يَأْخُذُ بِالشِّمَالِ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الشِّمَالِ.

- وَكَوْنُهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ لِأَنَّهُ لَمَّا اسْتَدْبَرَ كِتَابَ اللهِ، وَوَلَّىٰ ظَهْرَهُ إِيَّاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ صَارَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُجْعَلَ كِتَابُ أَعْمَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَلْفَ ظَهْرِهِ.

فَعَلَىٰ هَذَا تُخْلَعُ الْيَدُ الشِّمَالُ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنَ الْخَلْفِ.

قَالَ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢/ ١٤٧-١٥٠)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ وَمَا يُكْتَبُ فِيهَا)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ أَيْ: عَمَلَهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَشَاءَمُ بِهِ، أَوْ يَتَفاءَلُ بِهِ، وَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَطِيرُ بِهِ فَيَعْلُو، أَوْ يَطِيرُ بِهِ فَيَنْزِلُ.

﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ أَيْ: فِي رَقَبَتِهِ، وَهَذَا أَقْوَىٰ مَا يَكُونُ تَعَلُّقًا بِالْإِنْسَانِ؛ حَيْثُ يُرْبَطُ فِي الْعُنُقِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَصِلَ إِلَّا إِذَا هَلَكَ الْإِنْسَانُ، فَهَذَا يَلْزَمُ عَمَلَهُ.

وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ أَيْ: مَفْتُوحًا، لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَعَبٍ وَلَا إِلَىٰ مَشَقَّةٍ فِي فَتْحِهِ.

وَيُقَالُ لَهُ: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾، وَانْظُرْ مَا كُتِبَ عَلَيْكَ فِيهِ ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ؛ أَنْ يُوَكَّلَ الْحِسَابُ إِلَىٰ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ.

وَالْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ لَا بُدَّ أَنْ يَنْظُرَ مَاذَا كُتِبَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي سَوْفَ يَجِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبًا.(*).

النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي تَسَلُّمِ الصُّحُفِ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِالْيَمِينِ، وَإِمَّا بِالشِّمَالِ.

فَمَنْ أَخَذَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَهُوَ نَاجٍ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقَدِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ.

وَالَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ صِنْفَانِ: صِنْفٌ مُخَلَّدٌ فِيهَا، وَصِنْفٌ يُعَذَّبُ عَلَىٰ قَدْرِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا صِفَةُ أَخْذِ النَّاسِ الْكُتُبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

جُرْمِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَهُوَ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ وَلَكِنْ زَادَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ.

قَالَ السَّفَّارِينِيُّ عِنْدَ ذِكْرِ فَوَائِدِ كَيْفِيَّةِ أَخْذِ الصُّحُفِ(١): «الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: يُعْطَىٰ الْكَافِرُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ بِأَنْ تُخْلَعَ، أَوْ يُدْخِلَهَا مِنْ صَدْرِهِ، أَوْ تُلْوَىٰ.

وَيُعْطَىٰ الْمُؤْمِنُ الْعَاصِي كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِنْ أَمَامَ، وَيُعْطَىٰ الْمُؤْمِنُ الطَّائِعُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ مِنْ أَمَامِهِ».

وَقَدْ جَزَمَ الْمَاوَرْدِيُّ بِأَنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ الْفَاسِقَ الَّذِي مَاتَ عَلَىٰ فِسْقِهِ دُونَ تَوْبَةٍ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ.

ثُمَّ حَكَىٰ قَوْلًا بِالْوَقْفِ، قَالَ: «وَلَا قَائِلَ بِأَنَّهُ يَأْخُذُهُ بِشِمَالِهِ».

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ: «اخْتُلِفَ فِي عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ، فَقِيلَ: يَأْخُذُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَقِيلَ: بِشَمَائِلِهِمْ.

وَعَلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهَا بِأَيْمَانِهِمْ قِيلَ: يَأْخُذُونَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ فِي النَّارِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَىٰ عَدَمِ خُلُودِهِمْ فِيهَا، وَقِيلَ: يَأْخُذُونَهَا بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ».

فَالَّذِي يَظْهَرُ -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَاصِيَ الَّذِي زَادَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ؛ لِأَنَّهُ اسْتَوْجَبَ النَّارَ بِمَعَاصِيهِ تِلْكَ.

---

(١) «لوامع الأنوار البهية» للسَّفَّارِينِيِّ (٢/ ١٨٣).

وَبِعَكْسِهِ الْمُؤْمِنُ الَّذِي زَادَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ.

وَفِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ بِالنَّجَاحِ وَالرُّسُوب.(*).

لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَىٰ النَّاسِ وَكَّلَ اللهُ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَائِكَةً يَكْتُبُونَ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

وَالْكُتَّابُ هُمُ الْمَلَائِكَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠- ١٢].

وَإِيتَاءُ الْكُتُبِ قَبْلَ بَدْءِ الْحِسَابِ، يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧- ٨].

فَذَكَرَ إِيتَاءَهُمُ الْكُتُبَ أَوَّلًا، ثُمَّ عَقَّبَ بِحَرْفِ الْفَاءِ الَّذِي يَقْتَضِي التَّرْتِيبَ وَالتَّعْقِيبَ فَذَكَرَ الْحِسَابَ.

وَيُخْرَجُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ كِتَابٌ مَفْتُوحٌ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير: ١٠]، فَيَقْرَؤُهُ وَإِنْ كَانَ أُمِّيًّا؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (هَلِ الْمُؤْمِنُ الْعَاصِي الَّذِي زَادَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ؟)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٥].

وَهَذَا الْكِتَابُ يَأْخُذُهُ الْمُؤْمِنُ بِيَمِينِهِ مِنْ أَمَامَ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَأْخُذُهُ بِشِمَالِهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٣٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧- ١٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الإسراء: ٧١].

وَالْإِمَامُ هُنَا هُوَ الْكِتَابُ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟**

فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟

فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ.

فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ.

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ! مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ!

فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ.

قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ،

---

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٥٧٠، ٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، والحاكم (١/ ٤٦) وغيرهم عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعَافِرِيِّ ثُمَّ الحُبُلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ،

وَأَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَوَافَقَهُمَا الْأَلْبَانِيُّ.

وَهَذَا الْكِتَابُ فِي غَايَةٍ مِنَ الدِّقَّةِ، فَلَا يَتْرُكُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا كَتَبَهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر: ٥٢- ٥٣].(*).

❀❀❀

=

يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ... فذكره. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ٢٦١، ح١٣٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (تَكَلَّمْ عَنْ إِيتَاءِ الْعِبَادِ كُتُبَهُمْ)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

مَا الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ الْعَبْدَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَعَلَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النحل: ٩٣].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢- ٩٣] أَيْ: عَمَّا يَفْعَلُونَ، ﴿مَا﴾ فِي الْآيَاتِ بِمَعْنَىٰ: الَّذِي، اسْمٌ مَوْصُولٌ، وَالِاسْمُ الْمَوْصُولُ مِنْ أَلْفَاظِ الْعُمُومِ، فَالْعَبْدُ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَعَلَهُ.

لَكِنْ هُنَاكَ بَعْضُ الْأَعْمَالِ نَصَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ أَنَّهُ يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ؛ لِيَزْدَادَ الْخَوْفُ مِنْهَا، وَهِيَ: الدِّينُ وَنُصْرَتُهُ، وَالْقُرْآنُ وَالْعَمَلُ بِهِ.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣- ٤٤].

﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الصافات: ٢٤- ٢٥].

وَمِنْهَا: الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦].

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧].

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الشعراء: ٩٢-٩٣].

وَمِمَّا نُصَّ عَلَيْهِ -أَيْضًا- مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: كَذِبُهُمْ فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩]. (*).

وَيُسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ النَّعِيمِ الَّذِي تَمَتَّعَ بِهِ، يُسْأَلُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ؛ مِنَ الصِّحَّةِ، وَالْعَافِيَةِ، وَالْمَالِ، وَالذُّرِّيَّةِ، وَالْمَأْكَلِ، وَالْمَشْرَبِ، وَالْمَسْكَنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «أَيْ: ثُمَّ تُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الصِّحَّةِ، وَالْأَمْنِ، وَالرِّزْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ مَاذَا قَابَلْتُمْ بِهِ نِعَمَهُ مِنْ شُكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ؟».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٧٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ بَدَنَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟**»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.(*).

يُسْأَلُ -أَيْضًا- عَنِ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ [الأحزاب: ١٥] أَيْ: مَسْؤُولًا عَنْهُ.

وَمِنْهَا: إِضْلَالُ الْمُضِلِّينَ لِلنَّاسِ.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٣].

وَمِنْهَا: الْعِلْمُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْفُؤَادُ.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «قَالَ قَتَادَةُ: لَا تَقُلْ: رَأَيْتُ، وَلَمْ تَرَ، وَسَمِعْتُ، وَلَمْ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٥٨)، وابن حبان (٧٣٦٤) وغيرهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الْأُمُورُ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٧٥).

تُسْمَعْ، وَعَلِمْتُ، وَلَمْ تَعْلَمْ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- سَائِلُكَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَمَضْمُونُ مَا ذَكَرُوهُ: أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- نَهَىٰ عَنِ الْقَوْلِ بِلَا عِلْمٍ، بِالظَّنِّ الَّذِي هُوَ التَّوَهُّمُ وَالْخَيَالُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**»(١).

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: زَعَمُوا**»(٢).

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**إِنَّ أَفْرَىٰ الْفِرَىٰ أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا**»(٣).

وَفِي «الصَّحِيحِ»(٤): «**مَنْ تَحَلَّمَ حُلْمًا كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ**».

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أَيْ: هَذِهِ الصِّفَاتُ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْفُؤَادِ ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ أَيْ: سَيُسْأَلُ الْعَبْدُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وتُسْأَلُ عَنْهُ عَمَّا عَمِلَ فِيهَا». (*).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٢)، وأبو داود (٤٩٧٢) وغيرهما عن أبي مسعود الأنصاري، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٤٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]: فَحَقِيقٌ بِالْعَبْدِ الَّذِي يَعْرِفُ أَنَّهُ مَسْؤُولٌ عَمَّا قَالَهُ وَفَعَلَهُ، وَعَمَّا اسْتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحَهُ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ لِعِبَادَتِهِ، حَقِيقٌ بِهِ أَنْ يُعِدَّ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا.

وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاسْتِعْمَالِهَا بِعُبُودِيَّةِ اللهِ، وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، وَكَفِّهَا عَمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا».

فَيُسْأَلُ وَيُحَاسَبُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ سَمْعِهِ: هَلِ اسْتَغَلَّهُ فِيمَا يُرْضِي اللهَ -تَعَالَىٰ-، أَمْ فِيمَا يُسْخِطُهُ؟

وَيُسْأَلُ عَنْ بَصَرِهِ: هَلِ اسْتَغَلَّهُ فِيمَا يُرْضِي اللهَ -تَعَالَىٰ-، أَمْ فِيمَا يُسْخِطُهُ؟

وَيُسْأَلُ عَنْ فُؤَادِهِ -أَيْ قَلْبِهِ-: هَلْ آمَنَ بِاللهِ وَتَعَلَّقَ بِهِ، أَمْ كَفَرَ بِاللهِ وَتَعَلَّقَ بِغَيْرِهِ؟(*).

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤]؛ فَقَدْ نُسِخَتْ كَمَا ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٤٥٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الْأُمُورُ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

﴿كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَىٰ الرُّكَبِ، فَقَالُوا: «أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ؛ الصَّلَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟! بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**».

فَقَالُوا: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ».

فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ -تَعَالَىٰ-، فَأَنْزَلَ ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قَالَ: «**نَعَمْ**».

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قَالَ: «**نَعَمْ**».

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قَالَ: «**نَعَمْ**».

﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قَالَ: «**نَعَمْ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».(*).

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي سَوْفَ يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الصَّلَاةُ.

أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الصَّلَاةُ؛ فَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ، وَرَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَهِيَ الَّتِي إِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ**». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ.**

قَالَ: يَقُولُ رَبُّنَا ﷻ لِلْمَلَائِكَةِ وَهُوَ أَعْلَمُ: انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟

فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً.

وَإِنِ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ: أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ.

ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَىٰ ذَلِكَ»(١). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَيُسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ، وَعَنْ شَبَابِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَيُسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا أَجَابَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِلْبَشَرِيَّةِ، هَلْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ، وَاتَّبَعَ مَا جَاؤُوا بِهِ، أَمْ كَفَرَ بِهِمْ، وَكَذَّبَ مَا قَالُوا، وَأَعْرَضَ عَمَّا جَاؤُوا بِهِ؟

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [القصص: ٦٥-٦٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦].

---

(١) أخرجه أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والحاكم (١/ ٣٩٤) وغيرهم مختصرا ومطولا، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٨١٠).

(٢) تقدم تخريجه.

عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ الْأَسَدِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**».

قَالُوا: «يَا نَبِيَّ اللهِ! مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ».

فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَىٰ، وَالْبَزَّارُ، وَنَسَبَ الثِّقَلَ لِقَدَمَيْهِ رضي الله عنه.

وَيَسْأَلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُقَرِّعُهُمْ، كَمَا قَالَ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الشعراء: ٩٢-٩٣].

وَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: ٦٢].

وَيَسْأَلُ اللهُ -تَعَالَىٰ- الَّذِينَ كَانُوا يَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اللهِ؛ كَمَنْ يَذْبَحُ تَقَرُّبًا إِلَىٰ الْأَصْنَامِ أَوِ الْقُبُورِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦].(*).

❀❀❀

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٩٨، ٣٩٩١)، وأبو يعلىٰ (٥٣١٠)، والبزار (١٨٢٧) وغيرهم، وصححه لطرقه وشواهده الألباني في «الصحيحة» (٦/ ٥٧٠، ح٢٧٥٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (مَا الْأُمُورُ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١١-٤-٢٠٢١م.

الْيَوْمُ الْآخِرُ يَوْمُ قَصَاصِ الظَّالِمِ مِنَ الْمَظْلُومِ

عِبَادَ اللهِ! يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقْتَصُّ مِنَ الظَّالِمِ لِلْمَظْلُومِ؛ حَتَّىٰ الْبَهَائِمُ.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُقْتَصُّ لِلنَّاسِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ؛ فَالْحِسَابُ شَامِلٌ لِظُلْمِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ، وَظُلْمِهِ لِغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ.

وَمَا أَعْظَمَ خَيْبَةَ الَّذِي وَقَعَ فِي ظُلْمِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْقَصَاصَ يَوْمَئِذٍ لَا يَكُونُ بِالْمَالِ، وَلَا بِالسِّجْنِ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ، بَلْ يَكُونُ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: ١١١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ قَدْرَ مَظْلِمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وأَخْرَجَ مُسْلِمٌ(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

الْمُفْلِسُ؟».

قَالُوا: «الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ».

فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**».

وَمِنْ كَمَالِ عَدْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ يَقْتَصَّ لِلْبَهَائِمِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ.

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ[1] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُدَّتِ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ، وَحُشِرَ الْخَلَائِقُ: الْإِنْسُ، وَالْجِنُّ، وَالدَّوَابُّ، وَالْوُحُوشُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ جُعِلَ الْقِصَاصُ بَيْنَ الدَّوَابِّ؛ حَتَّىٰ تَقْتَصَّ الشَّاةُ الْجَمَّاءُ مِنَ الْقَرْنَاءِ بِنَطْحَتِهَا.

---

(١) أخرجه الحاكم «المستدرك» (٤/ ٦١٩)، وهذا الأثر صححه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٦٠٧)، ويشهد له كذلك حديث مسلم السالف (٢٥٨٢): «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»، وأيضا ما أخرجه الحاكم (٢/ ٣٤٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾ [الأنعام: ٣٨] قَالَ: «**يُحْشَرُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْبَهَائِمُ، وَالدَّوَابُّ، وَالطَّيْرُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللهِ أَنْ يَأْخُذَ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: كُونِي تُرَابًا فَذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾**» [النبأ: ٤٠]، وإسناده حسن.

فَإِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقِصَاصِ بَيْنَ الدَّوَابِّ قَالَ لَهَا: كُونِي تُرَابًا، فَتَكُونُ تُرَابًا، فَيَرَاهَا الْكَافِرُ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا». (*).

عِبَادَ اللهِ! الْأَمْرُ جِدٌّ لَا هَزْلَ فِيهِ، سَيَذْهَبُ الْجَمِيعُ وَلَنْ يَبْقَىٰ أَحَدٌ؛ فَيَكُونُ مَاذَا؟!! تَنْتَهِي الْأُمُورُ؟!!

لَا، الْحَقُّ لَا يَضِيعُ.. الْحَقُّ لَا يَضِيعُ أَبَدًا!

إِذَا كُنْتَ صَاحِبَ حَقٍّ فَلَا تَحْزَنْ، سَتَأْخُذُ حَقَّكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَا فِي الدُّنْيَا فَهُنَاكَ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ يَنْصِبُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتُحْصَىٰ الْأَعْمَالُ، وَتُعَادُ الْحُقُوقُ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا، لَا يُمْكِنُ وَلَوْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ لَا بُدَّ أَنْ يُؤْتَىٰ بِهَا، وَأَنْ تَعُودَ الْحُقُوقُ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا.

الْأَمْرُ هُنَا يَسِيرٌ، يُؤْخَذُ الْحَقُّ مِنْكَ بَعْدَ أَنْ وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَيْهِ؟!!

لَا بَأْسَ أَنْ تَمُوتَ!

فِي اللهِ عِوَضٌ، وَلَكِنْ هُنَاكَ مَاذَا تَصْنَعُ؟!!

سَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِكَ وَيُحَطُّ عَلَىٰ الْأَبْعَدِ إِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ!

الَّذِي ظَلَمْتَهُ سَيَأْخُذُ حَسَنَاتِكَ..

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «عَقِيدَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ [مَقَاطِعُ مُوجَزَةٌ]»: (يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقْتَصُّ مِنَ الظَّالِمِ لِلْمَظْلُومِ، حَتَّىٰ الْبَهَائِمُ. تَكَلَّمْ عَنْ هَذَا)، السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤٢هـ| ١٠-٤-٢٠٢١م.

يَا رَجُلُ! إِنَّ الْعَقْلَ يَقْضِي بِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَبْغَضَ أَحَدًا فَإِنَّهُ لَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِ مَعْرُوفَهُ، النَّاسُ -هَكَذَا- يَصْنَعُونَ، لَا يُوَصِّلُونَ الْمَعْرُوفَ إِلَىٰ مَنْ يُبْغِضُونَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقِلَّةُ الْعَقْلِ فِي الدُّنْيَا تَجْعَلُ الْمُبْغِضَ يُعْطِي مَنْ يُبْغِضُهُ حَسَنَاتِهِ، يَغْتَابُهُ -مَثَلًا-، سَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، هَذِهِ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ، لَا تَنَازُلَ فِيهَا أَبَدًا؛ يَعْنِي لَوْ أَنَّكَ اغْتَبْتَ مُسْلِمًا ثُمَّ ظَلِلْتَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَدَّ اللهُ فِي عُمُرِكَ تَسْتَغْفِرُ؛ لَنْ يُغْفَرَ لَكَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ بِأَنْ تَرُدَّ الْحُقُوقُ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا؛ فَمَاذَا تَصْنَعُ؟!!

وَرَّطْتَ نَفْسَكَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِكَ!

هَلْ وَجَدْتَ عَاقِلًا قَطُّ يُعْطِي مَنْ يُبْغِضُهُ مَا يَبْخَلُ بِهِ عَلَىٰ وَلَدِهِ وَعَلَىٰ أُمِّهِ وَعَلَىٰ أَبِيهِ؟!!

لِأَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْخَلُ بِحَسَنَةٍ، لَا تُعْطِيهَا أَبَاكَ وَهُوَ يَمْشِي وَرَاءَكَ يَقُولُ: يَا بُنَيَّ! أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكَ؟

فَتَقُولُ: خَيْرَ أَبٍ.

فَيَقُولُ: أُرِيدُ مِنْكَ الْيَوْمَ حَسَنَةً.

فَتَقُولُ: لَا، إِنِّي أَخَافُ الْيَوْمَ مِمَّا مِنْهُ تَخَافُ.

وَأُمُّكَ -عَلَىٰ عَظِيمِ حَقِّهَا عَلَيْكَ- لَنْ تُعْطِيَهَا حَسَنَةً!

وَكَذَلِكَ الْوَلَدُ مَعَ أُمِّهِ، أُمُّهُ مَعَ تَضْحِيَتِهَا بِرُوحِهَا لَهُ؛ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تُعْطِيهِ حَسَنَةً، وَأَنْتَ تُبَعْثِرُ حَسَنَاتِكَ، لِمَاذَا؟!! هَلْ هَذَا عَقْلٌ؟!!

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**لَتُؤَدَّيْنَّ الْحُقُوقُ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَقَادَ** -يَعْنِي: يُقْتَصَّ- **لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ** -يَعْنِي: الَّتِي لَا قُرُونَ لَهَا- **مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ** -كَانَ لَهَا قَرْنَانِ فِي الدُّنْيَا فَنَطَحَتْهَا- **يَبْعَثُهُمَا اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنْشِئُ لِلْجَلْحَاءِ قَرْنَيْنِ وَيَأْمُرُ هَذِهِ الْجَلْحَاءَ الَّتِي صَارَ لَهَا قَرْنَانِ بِأَنْ تَقْتَصَّ مِنَ الَّتِي نَطَحَتْهَا فِي الدُّنْيَا**»(١).

شَاةٌ.. حَيَوانٌ غَيْرُ مُكَلَّفٍ، لَكِنَّهُ الْعَدْلُ؛ فَاخْشَهُ!(*).

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مَقْطَعٍ بِعُنْوَان: «إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ حَقٍّ فَلَا تَحْزَنْ!».

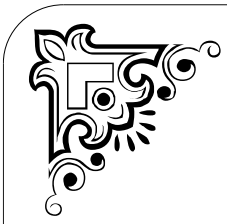

ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

عِبَادَ اللهِ! الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَهُ أَثَرٌ كَبِيرٌ عَلَىٰ اعْتِقَادِ الْعَبْدِ، وَعَلَىٰ سُلُوكِهِ؛ إِذ إِنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَكُونُ بِالِاعْتِقَادِ، وَالْقَوْلِ، وَالْعَمَلِ.

وَالْأَثَرُ الْمُتَرَتِّبُ عَلَىٰ إِيمَانِ الْعَبْدِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ جِهَةِ الِاعْتِقَادِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَقَدَ وَأَقَرَّ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَإِنَّ هذَا الِاعْتِقَادَ يُثْمِرُ الرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَالْخَوْفَ مِنْ عِقَابِهِ وَمِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَمَّا الْأَثَرُ الْمُتَرَتِّبُ عَلَىٰ إِيمَانِ الْعَبْدِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ جِهَةِ السُّلُوكِ وَالْعَمَلِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا آمَنَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ سَيَحْرِصُ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُنْجِيهِ مِنْ عِقَابِ اللهِ، وَسَيَسْعَىٰ إِلَىٰ الْأَسْبَابِ الْمُوصِلَةِ إِلَىٰ النَّجَاةِ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

يَعْنِي إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَقَعَ فِي الْمَحْظُورِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِأَنَّهُ سَيُعْرَضُ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَسَيَنْشُرُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَبْعَثُهُ، وَيَنْصِبُ لَهُ الْمِيزَانَ، وَيَسْأَلُهُ وَيُحَاسِبُهُ عَلَىٰ مَا أَسَرَّ وَأَعْلَنَ، وَقَدَّمَ وَأَخَّرَ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ -حِينَئِذٍ- يَجْتَهِدُ فِي الْبُعْدِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، إِمَّا خَوْفًا وَإِمَّا حَيَاءً؛ إِمَّا خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَإِمَّا حَيَاءً مِنْ رَبِّ الْأَرْبَابِ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَائِمًا عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ أَثَّرَ فِي سُلُوكِهِ، وَأَثَّرَ فِي مُعَامَلَاتِهِ، وَأَثَّرَ فِي حَيَاتِهِ، كَمَا يُؤَثِّرُ فِي آخِرَتِهِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ عَلَىٰ الْوَجْهِ فَإِنَّهُ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً، وَأَخْلَاقًا جَمِيلَةً، وَعُبُودِيَّاتٍ مُتَنَوِّعَةً، وَآثَارًا حَمِيدَةً تَعُودُ عَلَىٰ الْفَرْدِ والْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِكُلِّ خَيْرٍ وَهُدًىٰ.

أَدَاءُ عِبَادَةِ اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِمَّا تَعَبَّدَنَا اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ، وَكَمَالُ الْمَخْلُوقِ فِي تَحْقِيقِهِ الْعُبُودِيَّةَ لِرَبِّهِ جَلَّوَعَلَا يُثْمِرُ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ، فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ الَّتِي لَا يَصِحُّ إِيمَانٌ بِدُونِهَا.

كُلَّمَا زادَتْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ بِهِ ازْدَادَ إِيمَانُهُ، وَقَوِيَ يَقِينُهُ، وَعَلَتْ دَرَجَتُهُ.

يُثْمِرُ انْبِعَاثَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ؛ فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَحْمِلُ عَلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ؛ رَجَاءً لِثَوَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيَحْمِلُ عَلَىٰ تَرْكِ الْمَعَاصِي خَوْفًا مِنْ عِقَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

إِذَا تَمَّتْ مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِتَفَاصِيلِ ذَلِكَ، وَمَا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ، وَمَا فِيهِ مِنَ النَّكَالِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ الدَّوَافِعِ لِفِعْلِ الْخَيْرِ وَاجْتِنَابِ الشَّرِّ.

يُثْمِرُ الْعِلْمَ بِفَضْلِ اللهِ، وَعَدْلِهِ، وَحِكْمَتِهِ؛ حَيْثُ يُجَازِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ بِعَدْلِهِ، وَيُجَازِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ بِفَضْلِهِ، وَإِنَّمَا يُعْلَمُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ مَا يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا الْيَوْمُ الْآخِرُ وَلَوْلَا الْإِيمَانُ بِهِ مَا كَانَ لِهَذِهِ الدُّنْيَا مَعْنًىٰ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَظَالِمِ لَا تُرَدُّ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا فِيها، وَلِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ

الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ يَلْحَقُ الْمَظْلُومِينَ وَمَنْ يَجُورُ عَلَيْهِمْ مِنَ الظَّلَمَةِ الْجَائِرِينَ، وَلَا تُرْفَعُ هَذِهِ الْمَظَالِمُ حَتَّىٰ يُقْبَرَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنَ ظَالِمِينَ وَمَظْلُومِينَ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْغَرُورِ.

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ هَنَالِكَ مِنْ يَوْمٍ آخِرٍ يَقُومُ فِيهِ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيُجَازَىٰ فِيهِ الْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ لَكَانَ هَذَا كُلُّهُ عَبَثًا فِي عَبَثٍ، وَضَلَالًا فِي ضَلَالٍ، وَلَكِنَّهَا حِكْمَةُ اللهِ.

هَذِهِ الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ، وَالنَّاسُ فِيهَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَسْتَقْبِلُونَ، وَيَدَعُونَ مَا يَدَعُونَ، وَالْمَوْعِدُ اللهُ، وَسَنُرَدُّ جَمِيعًا إِلَيْهِ نَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُحَاسِبُنَا عَلَىٰ مَا قَدَّمْنَا وَأَخَّرْنَا، وَيَجْزِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَيُجَازِي الْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يُثْمِرُ الِاعْتِدَالَ فِي حَالِ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَالْمُؤْمِنُ يَلْزَمُ الِاعْتِدَالَ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، لَا تُطْغِيهِ النِّعْمَةُ، وَلَا تُقَنِّطُهُ الْمُصِيبَةُ، فَإِنْ كَانَتِ السَّرَّاءُ أَعَدَّ لَهَا الشُّكْرَ، وَإِنْ كَانَتِ الضَّرَّاءُ أَعَدَّ لَهَا الصَّبْرَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الزُّهْدِ: بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، (٤/ ٢٢٩٥، رقم ٢٩٩٩)، من حديث: صُهَيْبِ بنِ سِنَانٍ رضي الله عنه.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ(١): «فَاعْلَمْ أَنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ يُورِثُ اسْتِشْعَارَ الِانْزِعَاجِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ، وَالتَّوَجُّهَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَىٰ الدَّارِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْفَكُّ عَنْ حَالَتَيْ ضِيقٍ وَسَعَةٍ، وَنِعْمَةٍ وَمِحْنَةٍ، فَإِنْ كَانَ فِي حَالِ ضِيقٍ وَمِحْنَةٍ فَذِكْرُ الْمَوْتِ يُسَهِّلُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَا هُوَ فِيهِ فَإِنَّهُ لَا يَدُومُ، وَالْمَوْتُ أَصْعَبُ مِنْهُ، أَوْ فِي حَالِ نِعْمَةٍ وَسَعَةٍ، فَذِكْرُ الْمَوْتِ يَمْنَعُهُ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِهَا وَالسُّكُونِ إِلَيْهَا لِقَطْعِهِ عَنْهَا».

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: قِيَامُ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ؛ فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يورِثُ الْإِنْسَانَ أَخْلَاقًا جَمِيلَةً؛ يُورِثُهُ خُلُقَ الْبَذْلِ وَالْإِنْفَاقِ؛ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ مَا يُقَدِّمُهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ سَيَجِدُهُ عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ خَيْرًا وَأَبْقَىٰ، فَتَرَاهُ يُؤْثِرُ أَعْمَالَ الْبِرِّ بِجَانِبِ مَا آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَوْ كَانَ بِهِ خَصَاصَةٌ، وَتَرَاهُ يُنْفِقُ إِنْفَاقَ مَنْ لَا يَخْشَىٰ الْفَقْرَ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَبْقَىٰ هُوَ الَّذِي يُخْرَجُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

قَالَتْ: «ذَهَبَتْ كُلُّهَا إِلَّا الذِّرَاعَ».

فَقَالَ: «**بَلْ بَقِيَتْ كُلُّهَا إِلَّا الذِّرَاعَ يَا عَائِشَةُ**»(٢).

---

(١) «التذكرة بأحوال الموتىٰ»: (ص١٢٣ - ١٢٤).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ: (٤/ ٦٤٤ رقم ٢٤٧٠)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، قَالَ: «**بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، والحديث حسن إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٦/ ٩٧ - ٩٩ رقم ٢٥٤٤).

=

مَا أَخْرَجْتِيهِ هُوَ الْبَاقِي، وَمَا أَبْقَيْتِيهِ هُوَ الْفَانِي؛ لِأَنَّ «**اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا تَصَدَّقَ الْعَبْدُ بِصِدْقَةٍ تَلَقَّاهَا بِيَمِينِهِ، وَيُرَبِّيهَا، وَلَوْ كَانَتْ عِدْلَ تَمْرَةٍ لِمَنْ تَصَدَّقَ بِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهَ** -أَيْ مُهْرَهُ- **حَتَّىٰ يَجِدَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ الْجَبَلِ**»(١).

فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ مَا يَخْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الضَّيَاعِ، وَهُوَ نَفِيسٌ عَزِيزٌ عَلَيْهِ فَلْيَجْعَلْهُ عِنْدَ مَنْ لَا تَضِيعُ لَدَيْهِ الصَّدَقَاتُ وَالزَّكَوَاتُ وَالْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ، وَهُوَ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يُورِثُ صَاحِبَهُ خُلُقَ الشَّجَاعَةِ، يُقْدِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ غَيْرَ هَيَّابٍ مِنَ الْمَوْتِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ الْمَوْتَ لَنْ يَأْتِيَ إِلَّا فِي وَقْتِهِ، وَلِيَقِينِهِ بِأَنَّ الْمَوْتَ إِنَّمَا

=

والحديث له شاهد من رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ أَنْ تُذْبَحَ شَاةٌ فَيَقْسِمَهَا بَيْنَ الْجِيرَانِ، قَالَ: فَذَبَحْتُهَا فَقَسَمْتُهَا بَيْنَ الْجِيرَانِ، وَرَفَعْتُ الذِّرَاعَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا بَقِيَ عِنْدَنَا إِلا الذِّرَاعُ، قَالَ: «**كُلُّهَا بَقِيَ إِلا الذِّرَاعَ**».

أخرجه البزار كما في «زوائده»: (١/ ٤٤٦ رقم ٩٤٢)، والطبراني في «مسند الشاميين»: (٣/ ١٢٠ - ١٢١، رقم ١٩١٣).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الزَّكَاةِ: بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ...، (٣/ ٢٧٨، رقم ١٤١٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: كِتَابُ الزَّكَاةِ: بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، (٢/ ٧٠٢، رقم ١٠١٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**».

هُوَ انْتِقَالٌ مِنْ حَيَاةٍ مَخْلُوطَةٍ بِالْمَتَاعِبِ وَالْمَكَارِهِ إِلَىٰ حَيَاةٍ أَصْفَىٰ لَذَّةً، وَأَهْنَأَ رَاحَةً، وَأَبْقَىٰ نَعِيمًا.

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يُورِثُ صَاحِبَهُ خُلُقَ التَّوَاضُعِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ الْكِبْرِيَاءَ للهِ وَحْدَهُ، وَبِأَنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ أَذَلُّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَىٰ هَذِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ فَقِسْ!

*** مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: تَسْلِيَةُ الْمُؤْمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ**؛ لِذَلِكَ لَا يَنْزَعِجُ لِحُلُولِ مَكْرُوهٍ أَوْ فَوَاتِ مَحْبُوبٍ؛ لِأَنَّه يَرْجُو الْعِوَضَ مِنَ اللهِ ﷻ، فَيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَىٰ السُّلُوِّ وَالرَّاحَةِ، وَتَرْكِ التَّسَخُّطِ.(*).

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَلِلْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الرَّغْبَةُ فِي فِعْلِ الطَّاعَةِ وَالْحِرْصُ عَلَيْهَا؛ رَجَاءً لِثَوَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

الثَّانِيَةُ: الرَّهْبَةُ مِنْ فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ وَالرِّضَا بِهَا؛ خَوْفًا مِنْ عِقَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وَكُلَّمَا كَانَ الْمَرْءُ عَالِمًا بِتَفَاصِيلِ مَا أَعَدَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِلطَّائِعِينَ، وَبِتَفَاصِيلِ مَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُجْرِمِينَ الْمُنَافِقِينَ الْعَاصِينَ الْمُكَذِّبِينَ، كُلَّمَا كَانَ كَذَلِكَ؛ كَانَ أَحْرَصَ عَلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَعْصِيَاتِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٧| ٣١-٨-٢٠١٦م.

الثَّالِثَةُ: تَسْلِيَةُ الْمُؤْمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَثَوَابِهَا.

يَزْدَادُ إِيمَانًا بِرَبِّهِ، وَبِحِكْمَةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ تَحَلُّلِهَا وَذَهَابِهَا، فَيُعِيدُهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَبْعَثُ الْخَلْقَ، يَقُومُونَ كَمَا كَانُوا: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] حُفَاةً عُرَاةً، غُرْلًا غَيْرَ مَخْتُونِينَ، يَقُومُونَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَيْضًا فِيهِ: الْإِيمَانُ بِعَدْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا؛ لِأَنَّ الْقَضَايَا الْمُعَلَّقَةَ فِي الْحَيَاةِ كَثِيرَةٌ، وَمَا أَكْثَرَ الْمَظَالِمَ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي لَا يُفْصَلُ فِيهَا!

فَإِذَا كَانَ النَّاسُ يَمُوتُونَ، فَيَذْهَبُونَ فِي طَبَقَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا يُبْعَثُونَ، وَلَا يَقُومُونَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَىٰ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ كَانَ هَذَا ظُلْمًا بَيِّنًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ لَا تُفْصَلُ، وَلَا يُفْصَلُ فِيهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَتَظَلُّ مُعَلَّقَةً، وَيَذْهَبُ صَاحِبُ الْحَقِّ إِلَىٰ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثُمَّ لَا يَحْصُلُ عَلَىٰ حَقِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَهَذَا فِيهِ مَا فِيهِ.

وَأَيْضًا فِيهِ -يَعْنِي: **فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **لِلطَّائِعِينَ وَالْعَاصِينَ مِنَ النَّعِيمِ وَالْجَحِيمِ، فِي الْإِيمَانِ بِذَلِكَ**-: **مَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْعَلَ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ وَقَّافًا عِنْدَ حُدُودِ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **مُسَارِعًا فِي الْخَيْرَاتِ**؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَمِنَ الْعِقَابَ أَسَاءَ الْأَدَبَ، فَإِذَا كَانَ دَائِمًا الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ مِنْهُ

عَلَىٰ ذُكْرٍ وَعَلَىٰ بَالٍ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَطَاعَهُ الْعَبْدُ أَثَابَهُ، وَإِذَا عَصَىٰ رَبَّهُ عَاقَبَهُ، فَجَعَلَ الْعِقَابَ دَائِمًا حَاضِرًا، وَكَذَلِكَ يَكُونُ الثَّوَابُ حَاضِرًا؛ فَإِنَّهُ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ، وَيَبْتَعِدُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ؛ رَجَاءَ ثَوَابِ رَبِّهِ، وَحِرْصًا عَلَىٰ أَنْ تَكُونَ الطَّاعَةُ وِقَايَةً لَهُ مِنَ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْعَاصِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ) - الْأَرْبِعَاءُ ١٣ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢٠-٢-٢٠٠٨م.

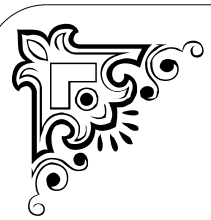

كَيْفَ لَا يَخَافُ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؟!!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧-٨].

فَذَمَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ؛ يَعْنِي لَا يَخَافُونَ لِقَاءَ اللهِ، وَجَعَلَ هَذِهِ الصِّفَةَ مِنْ صِفَاتِ أَصْحَابِ النَّارِ.

فَأَقْبِلْ عَلَىٰ نَفْسِكَ!

وَفَتِّشْ فِيهَا!

أَنْتَ تُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتُؤْمِنُ بِالْحِسابِ وَالْجَزَاءِ، وَتُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلَكِنَّكَ لَا تَخَافُ!!

أَنْتَ لَا تَخَافُ مِنْ هَذَا؛ فَأَنْتَ مَغْرُورٌ، غَرَّتْكَ الْأَمَانِيُّ، وَصِرْتَ سَادِرًا فِي الْغَيِّ!!

فَاتَّقِ اللهَ! وَاسْتَيْقِظْ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَتَسَاقَطُونَ حَوْلَنَا.

أَسْأَلُ اللهَ مِيتَةً سَوِيَّةً.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِيتَةً سَوِيَّةً.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِيتَةً سَوِيَّةً.

نَسْأَلُكَ مِيتَةً سَوِيَّةً.

نَسْأَلُكَ مِيتَةً سَوِيَّةً، وَعِيشَةً هَنِيَّةً، وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلَا فَاضِحٍ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَثَرُهُ فِي السُّلُوكِ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٤٢هـ| ٢٥-١٢-٢٠٢٠م.

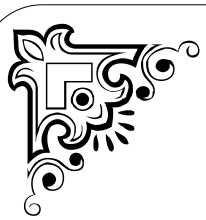

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ٤

الْحِكْمَةُ مِنَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ١٠

الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١٢

قَوَاعِدُ مُحَاسَبَةِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٣١

الشُّهُودُ عَلَىٰ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٣٩

نَشْرُ الصُّحُفِ وَالْكُتُبِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٥٦

مَا الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ ٧١

الْيَوْمُ الْآخِرُ يَوْمُ قَصَاصِ الظَّالِمِ مِنَ الْمَظْلُومِ ٨٠

ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ٨٥

كَيْفَ لَا يَخَافُ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؟!! ٩٣